دراسات في الأدب المقارن

شعر

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٣٠٦٥ /9/٢٠١٣)

٨١٠.٩
السلوادي، حسن إسماعيل
دراسات في الأدب المقارن- شعر/ حسن إسماعيل سلمان السلوادي. عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٣.
(١٧٦) ص
ر.أ: (٣٠٦٥ /٩/٢٠١٣).
الواصفات: النقد الأدبي//الشعر العربي//الأدب تالعربي//العصر الحديث/

❖ **يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هـذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.**

ردمك ٩٧٨-٩٩٥٧-٧٧-١٨٣-٦ ISBN

دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail : daralmamoun2005@hotmail.com

دراسات في الأدب المقارن

شعر

الدكتور

حسن إسماعيل سلمان السلوادي



دار المأمون للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الإهداء

يسعى ذوو الشأن – ومنهم الشعراء- دوماً للبحث عن الحقيقة ويحاولون الوصول إليها بطرق شتى؛ ومن هذه الطرق التعبير الشعري. فإلى جموع الشعراء العالميين السابقين واللاحقين- الذين يجهدون في أدائهم الشعري للاقتراب من الحقيقة وإعلانها على الملأ خاصة وأنها تهم بني البشر جميعاً.

إلى كل هؤلاء أقدم — وبتواضع — مؤلفي هذا.

د. حسن إسماعيل سلمان السلوادي
عمان ٢٠١٣/٨/١٢م

المقدمة

من المعروف أن دراسة الأدب المقارن مرت بمراحل كان أولها لدى الأدباء الفرنسيين في النصف الأول من القرن التاسع عشر وكان آخرها وأحدثها لدى الأدباء الأمريكان.وبينما ركز الفرنسيون على الناحية التاريخية للأدب المقارن وعلى حدود اللغة جاء فهم الأمريكان أوسع من ذلك فلم يقيدوا الأدب المقارن لا بحدود اللغة ولا القومية.

ودراسة الأدب المقارن حديثة العهد وقد جاء هذا النوع من الدراسات الأدبية متوجاً الدراسات العامة للأدب.فكان هذا خطوة إلى الأمام في التواصل الأدبي بين الأمم ولبنة في صرح التفاهم والتعايش الإنساني. إن هذا النوع من الدراسات الأدبية إنما جاء أصلاً من احتكاك الثقافات ببعضها البعض فبادىء ذي بدء كان لقاء بين الأدب الفرنسي من جهة وبين الأدب الإغريقي واللاتيني من جهة أخرى فانطلقت الشرارة الأولى لدراسة الأدب المقارن.إن احتكاك الثقافات المتباينة يعطي ثماره ألواناً جديدة من الحضارة فعلى سبيل المثال فمن نتائج الحروب الصليبية ومقابل آثارها السلبية – أن اطلع الغرب على معالم الحضارة العربية عن كثب فأفادوا منها وكان هذا عاملاً مهماً من عوامل قيام النهضة الأوروبية الحديثة والتي أزدهر في أعقابها – كمظهر من مظاهر النهضة الحضارية – الأدب ومنه الشعر فظهر أدباء كتاب وشعراء عالميون منهم سيرفانتس الإسباني، دانتي الايطالي، جوته الألماني وشكسبير الانجليزي...هؤلاء الأفذاذ تشكل أعمالهم الأدبية والشعرية مادة دسمة للمقارنات الأدبية.كذلك عندما ازدهرت الثقافة العربية في الأندلس وحدث احتكاك بين الثقافة الشرقية العربية والثقافة الغربية في إسبانيا نجم إبداع علمي ثقافي عربي في الأندلس. وكان من معالم ذلك الإبداع -وعلى سبيل المثال لا الحصر – ظهور الموشحات الأندلسية كفن شعري جديد في الأدب العربي. وضرورة التجديد الذي ينجم عن عوامل منها احتكاك الثقافات هي التي دفعت المعتمد بن عباد الى عدم تشجعه وعدم إقباله على كتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه، ذلك الكتاب الذي تضمن نصوصاً أدبية عربية تقليدية فعلق عليه المعتمد قائلاً "هذه بضاعتنا ردت إلينا".

وبعد أن اتسعت دائرة الاتصال بين بني البشر عبر طرق المواصلات الحديثة والعديدة من سيارات إلى قطارات إلى سفن تمخرعباب البحار والمحيطات إلى طائرات فأصبح العالم قرية صغيرة ونتج عن هذه الأنواع من الاتصالات أن اكتسب العرب ما جدّ من اختراعات وتجديدات في دول العالم

الأول. وكان من ضمن ذلك وفي مجال الأدب أن عرف الأدب العربي الشعر النثـري وشـعر التفعيلـة، كمـا دخـل نطـاق الأدب العربـي فنـون أدبيـة جديـة كالمسرحيات الشعرية – ومنها الملهاة والمأساة – والشعر القصصي والرواية والقصص في الأدب النثري.

إن التجديد فـي مختلف المجـالات سنة الحياة ولا يشذ الشعر عن ذلك فالشعر الجاهلي اتصف بتحيز الشاعر إلى قبيلته مقارنة مع الشعر في العهد الاسلامي والراشدي حيث كان التمسك بالدين ثم أشعار تتعلق بالفتوحات سمة لهذا الشعر، ثم حدث تحول ثان لما استقرت الأوضاع السياسية والاجتماعية للدولة العربية الإسلامية فحلت الدعة وبحبوحة العيش فظهر شعر الغزل على أشده فـي العصـرين الأمـوي والعباسـي. وتشكل هذه المواضيع كلها مجـالاً للمقارنات الأدبية حتى أنه ليمكننا إجراء مقارنة أدبية للشاعر الواحد فالشاعر قد يواجه في حياته حادثاً مهماً يشكل علامة فارقة في حياته فيؤثر هذا في شعره فيحدث تباين في شعره قبل الحدث وفي شعره بعد الحدث. فمثلاً اختلف شعر حسا بن ثابت في الجاهلية عنه بعد أن دخل الإسلام، فقال فيه الأصمعي "شعر حسان في الجاهلية من أجود اشعر، فقطع متنه الإسلام".

ولا يعيب المعرفة الشعرية الاختلاف والتباين في نظرة المجتمعات الى موضوع معين فالاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، والثقافات المختلفة تحترم بعضها البعض وتحفظ مكانة كل منها كاملة موفورة لدى غيرها من الثقافات، والنفس البشرية تواقة دائماً لما هو جديد.فلدى الانجليز مثلاً – بعكس ما عندنا – فالشمس عندهم مذكر والقمر مؤنث.وبينما نتشاءم نحن من طيور معينة كالبوم والغراب، يعتبر طائر البوم في الشعر الانجليزي رمز الحكمة ثم أنهم لا تطير عندهم فلا يتشاءمون بالغراب ولا بسواه من الطيور. وبخصوص الطبيعة والبيئة فالشعراء الغربيون لا يقتصرون على وصف الطبيعة – كما يفعل شعراؤنا العرب – بل يتعدون ذلك إلى الأشعار التي تحث على احترام البيئة والحفاظ عليها وعدم التفريط بها. ولما كان عند الغربيين مجال واسع في حرية الفكر والتعبير عن الرأي نجد شعراءهم يكثرون من الكتابة عن الحرية – ومنها الحريات الشخصية – كما أن العديدين من شعرائهم يناقشون في أشعارهم طبيعة الإنسان وماهية الحياة ويتطرقون إلى مصير الإنسان بعد الموت وقد يناقشون أموراً دينية إيجاباً أو سلباً. وليس بالضرورة أن يكون موقف هؤلاء والشعراء الغربيين في مناقشاتهم هذه موحداً فقد تتباين الآراء لدى شاعر مقارنة بآراء شاعر آخر. وعند الحديث عن الطبيعة نجدهم يكثرون في أشعارهم عن معالم طبيعية معينة ومنها البحار.وما أشبه تعلقهم بالبحار وكثرة نظمهم عنها بتعلق الشعراء العرب وخاصة القدماء بالبادية والنظم عنها. وعلى حين لا نكاد نجد شيئاً مهماً عن البحار لدى الشعراء العرب نجدهم – شعراء

العرب – أكثر كتابة عن الأنهار من نظرائهم الغربيين، وقد وضحنا ذلك في موقعه من البحث كما سيرى القارىء.

إن فوارق ثقافية كهذه لا تحد شيئاً من قيمة حب الإطلاع بل – على العكس – إنها تغري القارىء بمتابعة الاطلاع ليعلم المزيد عما يقول به أو يعتقده الغير، والتنوع والتعدد مرغوبان في أمور حياتية جمة وإن هذا التنوع – ومنه المقارنات الشعرية – مدعاة للتكامل ولمعرفة بعضنا البعض ولفهمنا لبعضنا البعض من أجل التعايش معاً وللعمل لصالح الجميع.

لقد أوردت في مقارناتي الشعرية شواهد – عدا الأشعار العربية – أجنبية: انجليزية، روسية، اغريقية...الخ واعتمدت عليها مترجمة الى الانجليزية مع حرصي أن أثبت اسم المترجم من اللغة الأصلية إلى الانجليزية. من ثم قمت أنا بترجمة هذه الشواهد الشعرية الى العربية شعراً عمودياً أو شعر تفعيلة، وجاء البعض منها ترجمة نثرية وذلك لضيق الوقت.

لقد جعلت عملي هذا في بابين خصصت الباب الأول للدراسات المقارنة لشعر الشاعرات، والباب الثاني للدراسات المقارنة لأشعار الشعراء الرجال. وتعليلاً لذلك فإن الشعراء الرجال يكتبون في مواضيع شعرية لا يجدن الشاعرات انفسهن منجذبات اليها مثل الشرب، العمل، الفساد، شعر في الشعر ...الخ. وسبب من الأسباب في ذلك أن هذه المواضيع المذكورة آنفاً تمس الرجل بشكل مباشر إذ يتعلق كلها بأمور الحياة الشائكة التي يواجهها أو يخوضها الرجل كل يوم في حياته اما في المصنع أو المنجم أو المزرعة أو في ساحات القتال...الخ بينما لا تتكلف المرأة ذلك لطبيعتها الأنثوية التي لا تؤهلها لمجابهة هذه الأعمال، فالمرأة في معظم الحالات في بيتها ترعى شؤونه وشؤون زوجها وأبنائها، أو أنها إذا دخلت معترك الحياة تظل على أطرافه دون التوغل في جوفه المليء بالمصاعب والمتاعب التي لا تستطيع مجابهتها ولا المقدرة عليها. ولما كن النساء يشكين ضياع حقوقهن فقد حرصت على إفراد باب كامل من بابي هذا الكتاب لمناقشة ومقارنة أشعار الشاعرات حفظاً لحقوقهن وصوناً لهن من طغيان أشعار الرجال على أشعارهن ولتبدو المرأة في شعرها بشكل واضح لا لبس فيه ولا تشوبه شائبة.

ورغم أن هنالك مواضيع شعرية معينة لدينا – نحن العرب – لا يتطرق اليها الشعراء الأعاجم خاصة الغربيون من مثل المديح، العتاب، الحكم، الإفتخار بالنفس، الكرم...الخ إلا أن هنالك مواضيع شعرية قال فيها الشعراء الأجانب كما قال فيها الشعراء العرب مثل وصف الطبيعة، الحب والغزل، الشرب، الوطنية.كما أن هنالك أغراضاً شعرية يكاد يتفرد بها الشعراء الأعاجم وخاصة الغربيون منهم ومن هذه الأغراض الشعرية: الفساد، العمل

والحريات الشخصية ثم ان هنالك أغراضاً شعرية قد يماثل بعض الشعراء الغربيين الشعراء العرب في القول فيها، لكن هنالك شعراء – وخاصة غربيين – قد يختلفون في نظرتهم إليها ومن هذه الأغراض الشعرية الإنسان ككائن حي وماهية الحياة والموت ثم البيئة. إن كل هذا يشكل مجالاً رحباً لإجراء دراسات أدبية شعرية مقارنة.

أما الشواهد الشعرية التي وظفتها في عملي هذا فمن الأشعار العربية نماذج من الشعر الجاهلي وكل العصور الأخرى وكذلك بالنسبة للأشعار الأعجمية فمن مختلف العصور بما في ذلك أشعار مما قبل الميلاد كما ورد في العمل من شعر إغريقي من ذلك الطابع. أما الأشعار الأعجمية التي استعملتها فقد ترجمت كل الأشعار الانجليزية بنفسي إما شعراً عمودياً أو شعر تفعيلة، وبعض الأشعار ترجمتها نثراً.أما الأشعار الأجنبية غير الانجليزية فقد ذكرت مع كل قصيدة وظفت هنا اسم المترجم الذي ترجمها من لغتها الأصلية إلى الانجليزية ومن ثم ترجمتها إلى العربية مع حرصي على ذكر تاريخ ولادة الشاعر ووفاته وتاريخ نظم القصيدة ما وجدت لذلك سبيلاً.ومن المنتظر أن بعض الشعراء المذكورين توفوا بعد صدور المراجع التي شملت قصائدهم ففي هذه الحالة وإن لم أتأكد من سنة الوفاة ذكرت فقط سنة الولادة.

وأخيراً أرجو أن أكون قد قدمت خدمة للدراسات الأدبية المقارنة وساهمت في بناء صرحه الشامخ، هذا العلم الذي مازال لدينا – نحن العرب – في طفولته، ومازالت رفوف خزائنه شبه خاليه...وإلى الأمام ...والله من وراء القصد.

د.حسن اسماعيل سلمان السلوادي

عمان ١١/٨/٢٠١٣م

الباب الأول

دراسة أشعار مقارنة — شاعرات

الفصل الأول

أشعار مقارنة في الإستغاثة وطلب النجدة

رغم أن المرأة – عموماً – ضعيفة في قواها الجسدية ولا تستطيع مجابهة الأهوال والمخاطر بمفردها، وبالتالي فإنها تعمد إلى الإستغاثة وطلب النجدة في تلكم اللحظات والمواقف الحرجة إلا أن النظرة إلى الموضوع تختلف بين الشاعرة العربية ونظيرتها الشاعرة الأعجمية.فأنت عندما تطلع على نتاج الشاعرات تجد أن الاستغاثة والاستصراخ وطلب النجدة ظواهر واضحة جداً عند الشاعرات العربيات – هذا من قبيل السيدة العربية التي استغاثت بالمعتصم حين صاحت "وامعتصماه" لظلم الروم لها، فهب لنجدتها وتغلب على الروم البيزنطيين في معركة عمورية ٨٣٨م، ومن أول الشاعرات العربيات اللواتي طرقن هذا الباب من الشعر هي البسوس – خالة جساس المري التي قتل كليب ناقتها فأشعلت الحرب بين قوم جساس المري وبين قبيلة كليب وأخيه المهلهل – قبيلة تغلب. لقد حدثت هذه الحرب الشديدة لما استصرخت البسوس قومها لرفع الظلم عنها في قتل كليب ناقتها وذلك في قولها:

لَعَمرُكَ لوْ أصَبحْتُ في دارِ مُنقذٍ   لمَا ضِيمَ سعدٌ وهاجَارٌ لأبيَاتِي

وهذه امرأة من ضبة تطلب من قومها الأخذ بثأر قريب لها قتلته قبيلة أخرى، فتقول محرضة قبيلتها على عدم الصلح وقبول الدية:

ألاَ لا تأخذُوا لبناً ولكنْ   أذيقوا قومكُمْ حدَّ السلاحِ

فإن لم تثأرو اعمرواً بزيد   فلا دَرَّتْ لبونُ بَني رِياحِ

والمثال الأخير على طلب الشاعرات العربيات للعون والنجدة قول ليلى العفيفة لما سباها أمير فارسي وشد عليها في أسرها كي تقبل به بعلاً لها، لكنها أبت ذلك واستغاثت بابن عمها الذي يدعى البرّاق – وقد كانت تحبه – وذلك بالأبيات الشعرية التالية، فهب لنجدتها وحررها وتزوجها:

ليتَ للبَرَّاق عيناً فترى   ما ألاقي من بلاءٍ وعنَا

عذبت أختكم يا ويلكم   بعذاب النَّكر صُبحاً ومسَا

قيّدُوني، غلّلُوني وافعلُوا   كل ما شئتُم جميعاً منْ بَلاَ

فأنَا كارهةٌ بغيكُمُ   ويَقِيني الموتُ شيءٌ يُشتهَى

وكان البراق هذا هو ابن رومان بن أسد.

ويلاحظ الفارق في اللهجة بين هذه الاستغاثات فاستغاثة الضبية تتصف بلغة جزلة وألفاظ تتناسب وهذه الجزالة مثل (حد السلاح) (وإن لم تثاروا عمرواً بزيد) وقولها (فلا درت لبون) أي أنها تدعو عليهم بالهلاك إن لم يهبوا للثأر.

أما استغاثة ليلى العفيفة فتأخذ الجانب المقابل فهي لغة سهلة تتناسب وضعف المرأة في موقف كموقف ليلى العفيفة، ومن قبيل ذلك كلمات مثل (ليت) (ألاقي من بلاء) (عذبت أختكم) (قيدوني...).

إن مثل هذا الشعر في الإستغاثة وطلب النجدة لا يوجد لدى الشاعرات الأعجميات خاصة الغربيات. بل مقابل ذلك نجد أن شاعرة انجليزية من مثل إملى برونتي (١٨١٨-١٨٤٨م) تعلن أن لديها الشجاعة والجلد للاحتمال، وذلك في قصيدة لها بعنوان مترجم " الشيخ الجلد " وهذه ترجمة لما ورد في قصيدتها:

إنني أحط من قيمة الثراء... وأضحك مزدرية بالحب أما الشهوة للشهرة فلم تكن إلا حلما، ...تلاشى مع الصباح...وإذا أنا صليت فصلاتي الوحيدة التي تحرك شفتي...هي" دعوا القلب الذي أنا أحمل، ...وامنحوني الحرية!"...أجل، ومع تسارع أيامي نحو هدفها، ...فإن هذا هو كل ما أرجو، ...روح طليقة في الحياة وفي الموت ... وفيها شجاعة على الثبات.

الفصل الثاني

الشاعرات والحب والغزل – دراسة مقارنة -

لما كان الرجل - عادة – هو الطرف الذي يطرق باب الحب مع المرأة أولاً وليس العكس فإننا نرى أن معظم الأشعار التي نظمت في الحب والغزل كانت صادرة عن شعراء لا شاعرات. أضف إلى هذا تأثير العادات السائدة في المجتمعات وهي عادات تختلف من مجتمع لآخر. ففي المجتمعات العربية والإسلامية يغلف المرأة هالة من الحياء، كما أن التمسك بفكرة الشرف لدينا لا يشجع المرأة على الخوض في هذا المجال عملاً ونظماً.هذا على حين أن النساء غير العربيات وغير المسلمات يتصفن – حسب عادات مجتمعاتهن – بتقيد أقل مما لدينا في علاقاتهن مع الرجال، وبالتالي فهؤلاء الشاعرات الأعجميات المعنيات أكثر عدداً نسبياً وأشعاراً من شاعراتنا في هذا الصدد.

وأبعد من ذلك فهناك شاعرات عربيات يأبين مثل هذا الإقدام ويجذبهن التمسك بالشرف والعفة فهذه الشاعرة باحثة البادية وهي الشاعرة ملك حفني ناصف (ولدت في القاهرة ١٨٨٦ وتوفيت ١٩١٨) تقول في هذا المعنى:

بـِيدَ العفـافِ أصـونُ عـزَّ حِجـابي   وَبعصْـمَتي أسـمُوْ علــى أترابِــي

وبفكْــرة وقَّــادةٍ وقريحــةٍ نقــَّادةٍ   قـــد كُمِّلــت آدابِـــي

وجعلــتُ مرآتــي جبــينَ دفاتــرٍ   وجعلـتُ مـن نقـشِ المـدادِ خطابِـي

إنك تحس في هذه الأبيات بموسيقى شعرية عالية النبرة، فهي تتحدث عن العرض والشرف. هذا بعكس ما سوف ترى في أبيات الولادة بنت المستكفي الواردة تالياً في الغزل. ومن ناحية أخرى فإن هذه الشاعرة - باحثة البادية – تخلت وامتنعت عن الخوض في لغة الغزل والحب إلى الغذاء الروحي والعقلي في المطالعة والكتابة.

ويصنف الباحثون الغزل – عادة – صنفين هما الغزل العفيف والغزل الماجن وهو ما اتفق على تسميته "النسيب"، ويلاحظ أن كل اشعار الشاعرات العربيات في الحب والغزل إنما هي من اللون الأول من الغزل – غزل عفيف – وهذه بعض أمثلة على ذلك:

تقول الشاعرة العربية الأندلسية ولادة بنت المستكفي (توفيت سنة

١٠٩١م) في الرجل الذي أحبها وأحبته – بن زيدون –

ألا هـلْ لنـا مـن بعـد هـذا التفـرُّقِ سـبيلٌ فيشـكُو كـلٌّ صـبٍّ بمـا لقِـي

تمـرُّ اللّيَـالي لا أرى البـيْنَ ينقضِـي ولا الصَّبر منْ رقِّ التَّشَوُّقِ مُعتِقِي

سقى الله أرْضـاً قد غدتْ لك مَنْزلاً بكُـلِّ سـكوبٍ هاطِـلِ الوبْـلِ مُغْـدقِ

عاطفة جياشة وأسلوب سلس ومفردات معبرة: تفرق، يشكو، البين، الصبر ...الخ. ومثال ثان فتقول الشاعرة العربية هند بنت الخس – جاهلية – في رجل (ربما هو القلمس):

أشَـمُّ كنَصْـل السَّـيفِ جعـدٌ مرجَّـلٌ شُـغفتُ بـه لـو كـانَ شـيئاً مُـدانِيا

وأَقسـمُ لـو خُيِّـرتُ بـين لقائِـهِ وَبَـينَ أبـي لاختـرتُ أن لا أبالِيـا

وهل هنالك حب أكثر من هذا؟ إنها تفضل لقاء الرجل الذي تحب على أن لا تفقد أباها. هذا كله – كما قدمنا – من قبيل الغزل العفيف الذي يتقيد بحدود الأدب واللياقة وهو يختلف كلياً عن الشعر الغزلي الماجن للنساء غير العربيات – وخاصة الغربيات.على أن هذا الشعر الغزلي الماجن يشكل جزءاً مهماً من أشعار الغزل عموماً لدى هذه الفئة من الشاعرات.

بالإضافة إلى الشعر الغزلي الماجن لدى الشاعرات الغربيات فإن لهن – أيضاً – أشعاراً في الغزل الملتزم العفيف ومن قبيل ذلك قول الشاعرة اليزابث بارت براوننج(١٨٠٦-١٨٦١) في قصيدة لها تحت عنوان ترجمته (الطرق التي أحبك بها):

كيف أحبُّك؟...دعني أعدِّد الطرق...أُحبكَ إلى أعمقَ وأوسعَ وَأعلى...ما تستطيع أن تصلَ إليه رُوحي...فأشعرُ وأنتَ بعيدٌ عنّي...أنكَ كائنٌ مثاليُّ الجمالِ ...أحبكَ كأكثَر غايةٍ ضرورةً في كلّ يوْمٍ...أحبكَ بعاطفةِ أحزَانِي القَديمة...وبإيمانِ طفولتي... أُحبكَ حُبّاً أَفتقِدُهُ معَ قدِّيسِيَّ الضائعِين...أُحبكَ بكل أنفاسِ وابتساماتِ ودُموعِ كل حياتي...وإذا شاء الله ....فلسوف أحبك أكثرَ بعد الموْتِ.

ومن أرق قصائد الغزل الإنجليزي العفيف النسائي قصيدة للشاعرة كريستينا روزتي(١٨٣٠-١٨٩٤) تحت عنوان معناه "اليوم الأول " تقول فيها:

لو أنَّ لي أن أتذكَّرَ ذلك اليومَ الأوَّل...تلك الساعة الأُولى...تلك اللَّحْظة الأُولى للقائِكَ بي...سواءٌ كان الفصلُ إذاكَ رائقاً أو مُعتماً...صيفاً أو شتاءاً...ولأيٍّ منهما أستطيُع أن أقُول، ...قد فات كلُّ ذلكَ دونَ أن أدوّنَه...لقد كنتُ أعمَى من أن أرى...أو أن استشف، ...لقد كنت أجهل من أن أرعى تبرعم

أيكتي...تلك التي ما كَانَ لها أن تُزهرَ لسنين...لو كان بوُسعي أن أستعيدَ...يوماً من تلك الأيام...التي تركتها تجيء وتمضي...دون أن تتْرُك أثراً...كَتهطالِ ثلْجٍ ذاب من تساقُطٍ سابق، ...كان ذلك قلَّمَا يعني شيئاً إذاك، ...لكن مَعَانِيَهُ كبيرة، ...ليتني أستطيع أن أستعيد تلك اللَّمسةَ، ...اللَّمسَةَ الأولى من يدٍ ليدٍ...ولَوْ لمرَّةٍ واحدةٍ !

ونجيء الآن الى النسيب أو الشعر الغزلي الماجن للشاعرات غير العربيات وغير المسلمات، ففي قصيدة تحت عنوان معناه "إحساس" كتبت الشاعرة الإنجليزية إليزابيت جينفر(ولدت ١٩٢٦) تقول:

قطعاً أُحسُّ أشعرُ...أنِّي سأغْدُو عاجلاً...ناراً تشبُّ تسعُرُ...إنِّي لأدْري أنَّ بي...لرغبةً جامحِةً ...ولا أظنُّ قُبلةً...تسطيُع أن تُطفئَها. فلغة الجسد واضحة عياناً في قول هذه الشاعرة إذ تقول "إن القبل غير كافية"، وكذلك فلغة الجسد أوضح في القصيدة التالية للشاعرة الانجليزية آناولهام (١٨٨٤-١٩٤٧م) بعنوان ترجمته"القدر المشوي"، وهذه ترجمة لأجزاء من هذه القصيدة:

وتستمر الحياة رتيبة..كأنها مُصطفَّةٌ صُفُوفاً...وعلى منوالٍ واحدٍ ...في بلدي ...لايشذُّ عن ذلك...إلاَّ برجُ الكنيسة...الذي لا يعلمُ أحدٌ...إلى أين يُشيرُ...سوى الله... أما النِّساء في بلدي ...فلا يشغل بالهنَّ – وإلى الهرم – إلا توافُه الأُمور... كالدبابيس...الفلوسِ...والصابونِ...إنَّني فقدتُ الأملَ...لكنَّ جندياً شاباً أعاده إلي... عندما جاء إلى بلدتي...وكان صريحاً عندما طلب إليَّ...أن أنامَ...وكان ذلك دَوْرِيَ العاديَّ المناطَ بي ...فأبهجَ أساريرَ وجْهِي...وأعادَ لِي جمَالي.

إننا لا نجد أشعاراً لشاعرات بهذا المستوى من الإيغال في لغة الجسد حتى يصل حد المضاجعة.

قارن هذا كله – آخر قصيدتين من الغزل الماجن – بالأبيات الآتية لليلى العامرية صاحبة قيس بن الملوح مجنون ليلى (توفيت٦٨٨م) إذ تقول:

بـــاحَ مجنـــونُ عـــامرٍ بهـــواهُ وكتمـــتُ الهـــوى فمـــتُّ بوجْـــدِي

فَـــإذا كـــان فـــي القيامـــةِ نُـــودِي "مـن قتيلُ الهوى؟"تقدَّمتُ وحْدِي

والآن وفي حديثنا عن الشعر الغزلي الماجن وغير العفيف للشاعرات غير العربيات نجيء لشاعرة إغريقية ربما كانت أقدم شاعرة عرفها التاريخ، وأول شاعرة تنظم الشعر الماجن والأول من نوعه لكونه صادراً عن شاعرة عرف عنها أنها مثلية الجنس.هذه هي الشاعرة الإغريقية سافو الليزبوسية(١) التي

---

(١) نسبة إلى جزيرة (ليزبوس) وهي تعني الآن الحب المثلي لدى النساء – سُحاق.

بلغت شأواً كبيراً في الغزل وخاصة الماجن منه.هذه الشاعرة عاشت في بلاد الإغريق من حوالي ٦٢٠ ق.م إلى حوالي ٥٦٥ ق.م واستقيت أشعارها المتداولة من آثار عثر عليها في مصر.وفيما يلي ترجمة لأبيات شعرية لها عثر عليها:

١- أقْبلي يا سيدةَ قبرصَ ودوري علينا...بكأس خمرٍ ذهبيةٍ...يخالطُها المرحُ الكبيرُ...نخباً لمعشوقاتي...وَلَكِ.
٢- لقد رأيت في المنام...أننَّي أَحكي مع عشيقةٍ وُلِدَتْ في قبرصَ.
٣- ولقد طرتُ ...إليكِ كما يطيرُ الطفلُ ...لأمِّه.
٤- أنها تنادي ...طفلها.
٥- إلى آلهة الإيمان...يا ابنة أفروديتَ الدنيويةَ...الفتَّانةَ.
٦- هاهنا أقْبلْنَ يَا آلهات المعْرفَة...رَبَّاتِ الجمالِ الغضّ... والشُّعورِ الجميلةِ...أنتُنْ ...يامن تسلَّحتُنَّ...بالورْدِ...ياآلهاتٍ نقياتٍ...تَعَالَين يا بَناتِ زَيُوس...
٧- والْمُلاءَةُ الأرجوانيَّةُ التي اكتنفتْ وجنتيكِ، تلك الملاءَةُ...التي ارسلَتْها تيماسُ لك...من فوكيا...هديةً من مُهْدٍ عزيزٍ...

ومن الجمل ذات العلاقة الجنسيَّةِ والتي تُرْوَى عنها:

أبيضُ كَثيراً من البَيْضَةِ...أحْلَى غناءً بكثيرٍ من القيثَارة...هو ذهبيٌّ أكثرَ من الذهبِ...أبيضُ من الحليبِ...أنعمُ من الماءِ...غضٌّ أكثرَ منْ براعمِ الوردِ...غضٌّ أكثرَ من أضمُومَةِ نُورٍ...أغْلى من الذَّهبِ...

ومن قصائدها ذات العلاقة بالموضوع القصيدة الآتية تحت عنوان "نزق الحب" وترجمها إلى الانجليزية والترسافج لاندر (١٧٧٥-١٨٦٤) وإلى العربية المؤلف "نزق الحب":

أُمَّاه!...إنَّني لا أُطيقُ أن أتحمَّلَ هذا العذابَ...فَأَصَابعي تُؤْلمني...وشفاهِي في جَفافٍ... آه يا أُمَّاه!...لو كُنتِ تشعرينَ...بالألمِ الذي أحسُّ...يَالي!...منْ ذا الذي يُحسُّ ما أُحسُّ؟ إنَّني ما شَككْتُ في صِدقِهِ...إنَّ كلَّ الرِّجالِ الآخَرين...يلجَأُون إلى الخداع... إنهُ- ولطيلة الوقت – أخبرنِي ...أنَّ عينيَّ زرقَا وانِ...ولطَالمَا أقسَم لي...أنَّ شِفَاهِيَ كانَتْ عَذبةً...

كما أن لها قصيدة أخرى في الحب– غير مثلية– عنوانها إلى هايمن[1]... هايمنيون "ترجمتها إلى الإنجليزية ماري بيرنارد ١٩٠٩، والمؤلف إلى العربية:

---

(١) «هايمن» هو إله الزواج عند الإغريق. ونفس الكلمة تعني «بكارة الأنثى».

إرفعنْ أطنابكَا...إرفعنْها عاليَا...ها هو قد جاءكَا...العروسُ أمَّكا...وَهْوَ طَال عن أريس هايمنْ...هايمنيُون...إنَّه طلَّ يميسُ...منْ فوقِ كلِّ الرجالِ...وشُعراءِ لزِبْوُس...طالَ عنهُمْ ....فغنّ...ياهايمن...وأنتَ يا هايمنيون.

وبعد فهذه الأشعار كلها تعكس ميل هذه الشاعرة الإغريقية المغرقة في القدم وانغماسها في الحب والغزل بشقيه المثلي والخلافي الماجن.

ونحن نجد حالة واحدة لشاعرة عربية أندلسية تعبر عن حب مثلي لديها محاكية بذلك – وإلى حد ما – الشاعرة الإغريقية سافو.وهذه هي الشاعرة حمدة بنت زياد المؤدب وهي خنساء الأندلس ٤٢٢ هـ - ٤٨٤ هـ فتقول في شعر لها:

أبَـــاحَ الـــدَّمعَ أســـرارٌ بَـــوَادِي	لـــهُ للحـــسْنِ آثـــارٌ بَـــوَادِي
وَمِـــنْ بـــينِ الظّبـــاءِ مَهَـــاةُ أنْـــسٍ	سَـبَتْني(اللُّـبَّ إذ) ملكـتْ فُـؤادِي[١]
لهـــا لحـــظَ تُرقّـــدُهُ لأمْـــرٍ	وذاك الأمْـــرُ يمَنَعُنـــي رُقَـــادِي
إذا سدلـــتْ ذوائبُهَـــا عليْهَـــا	رأيـتُ البـدر فـي أفُـق السَّـوادِ
كـأنَّ الصُّـبحَ بَـاتَ[٢] لـهُ شـقيقٌ	فَمِـنْ حُـزْنٍ تسَـربلَ بالسَّـوادِ

إن نظم هذه الشاعرة لهذه القصيدة المثلية الجنس أمر متوقع من شاعرة انغمست في حب مثلي فهي شاعرة أندلسية عاشت في الأندلس – البلد الذي توفرت فيه أسباب الرفاهية والجمال والأنس ومجالس الطرب والشراب.

بخلاف اشعار الحب العربية النسائية السابقة يعتري هذه القصيدة المثلية الجنس مآخذ فالبيت الثاني مكسور اصلاً.ثم فيها تكرار غير محبب لكلمة «بوادي» في البيت الأول و«السواد» في البيتين الأخيرين. وتقول الشاعرة في البيت الأخير أن الصبح حزن لوجود شقيق له، وهذا المعنى عكس المتوقع فمن المفرح أن يكون لك شقيق.

إذا ماحدنا عن موضوعي الاستغاثة والحب اللذين ناقشنا بدراسة مقارنة ألاشعار فيهما فإننا نجد أن الأغراض الشعرية التي خضنها الشاعرات العالميات – غير العربيات – أكثر تنوعاً وتعدداً مما لدى شاعراتنا العربيات...فبينما تراوحت اغراض شاعراتنا ما بين الاستغاثة، الدين، الرثاء، الحماسة والحرب والوطنية نجد أن تنوعاً أوسع يمثل أشعار الشاعرات العالميات: انجليزيات، امريكيات، روسيات، إغريقيات...الخ فتعددت

---

(١) -اللب إذ – غير مذكورة في الأصل بل كلمة "وقد"، بيت مكسور.
(٢) هكذا وردت في المصدر. ربما كانت أصلاً «مَاتَ».

أغراضهن فبالإضافة إلى أغراض شاعراتنا العربيات تشعبت هذه لدى الشاعرات العالميات لتشمل مواضيع أخرى كأشعار في الحياة والموت، البيئة،الاختراعات الحديثة...الخ، إن هذا التعدد في أغراض الشاعرات العالميات جاء نتيجة عوامل ثقافية واجتماعية، فلدى مجتمعات هؤلاء الشاعرات – خاصة الغربيات – مدى في حرية الفكر والرأي والتعبير عنهما أوسع بكثير مما لدى شاعراتنا العربيات. وسنجد أن هذه الحقيقة تلعب دورها في شعر الشعراء الرجال أيضاً.

الفصل الثالث

مقارنات في الأشعار الدينية

يشكل الدين موضوعاً شعرياً طرقته الشاعرات العربيات المسلمات بشكل جيد وبشكل أقوى من خوض الشاعرات الأعجميات لهذا الغرض. والأمثلة من شعر الشاعرات العربيات في الدين كثيرة نورد بعضاً منها لغرض الدراسة.
فالشاعرة العربية المسلمة ليلى الأخيلية امتدحت الحجاج بن يوسف الثقفي – في العهد الأموي –في مقاومته للخوارج لاسباب دينية يعرفها الجميع فقالت فيه:

إذا هـبطَ الحجَّـاجُ أرْضَـاً مريضـةً   تتبَّــعَ أقْصَــى دائِهَــا فشَــفَاها

أحجَّــاجُ لا تُعْــطِ العُــداةَ مُنَــاهُمُ   أبــى الله أن تعطَــى العُــداةُ مُنَاهَــا

ســقاها دِمــاءَ المــارقينَ وعلّهَــا   إذا جمحــتْ يومَــاً وخيــفَ أذاهَــا

ففي أبياتها ناصرت الشاعرة الدين الاسلامي بمدحها الحجاج الذي ذب عنه ليظل في طريقة المستقيم، وكذلك قالت سعدى بنت كرز العبشمية في عثمان بن عفان- رضي الله عنه – وهي خالته، قالت فيه لما أسلم:

هــدىْ اللهُ عثمــان الصَّــفيَّ بقوْلِــهِ   فأرشــدهُ واللهُ يهــدِي إلـــى الحــقِّ

فتــابع بــالرأيِ السَّــديدِ مُحمَّــداً   وكان بنُ أرْوى لا يصُدُّ عن الحقِّ

يلاحظ الفرق بين القطعتين الأخيرتين قطعة الأخيلية ذات لغة قوية يدعمها (مفردات مناسبة مثل: أقصى دائها، أرضاً مريضة، العداة، دماء المارقين، جمحت) ويعيب القطعة الثانية تكرار كلمة الحق في القافية.
وهذه الشاعرة الصوفية رابعة العدوية (توفيت ١٨٥هـ) ومن شعرها في الذات الإلهية قولها:

أحبُّــكَ حُبَّــينِ: حُــبَّ الهَــوَى   وحُبَّــا لأنَّــكَ أهْــلٌ لِــذَاكَا

فأمَّــا الــذّي هــو حــبُّ الهــوَى   فشُــغْلي بــذكْرِك عمَّــن سِوَاكَــا

وأمــا الــذّي أنــت أهــلٌ لــهُ   فكشـفُكَ لِـي الحُجْـبَ حتَّـى أرَاكَـا

ومــا الحمــدُ فــي ذا ولاذاك لــي   ولكــن لــك الحمــدُ فــي ذا و ذاكــا

تتجلى الصورة الشعرية واضحة في هذه الأبيات فهي تصور حب الشاعرة لله صورة صادقة ومفصلة.فهي بذلك تبذ كثيراً من القطع الشعرية الواردة في هذا الغرض الشعري.

وأخيراً فإن كل هذه الأمثلة المطروحة والاشعار المماثلة غير المطروحة من شاعرات العرب المسلمات كلها تمجد الدين الإسلامي وتعلي من شأنه.هذا بخلاف ماسوف نرى في اشعار الشاعرات الأعجميات إذ فيهن شاعرات يبدون وكانهن يقفن على الحياد من موضوع الدين.

وهذا مثال لشاعرة تقول قصيدة عن المسيح عيسى بن مريم في ميلاده، أما الشاعرة فهي إدنا ميلي (١٨٩٢-١٩٥٠):

من أجل هذا تعرَّقَتْ أمَّك في البردِ...من أجل هذا دميتَ في الشجرةِ المريرةِ، قطعةٌ من شريطٍ لَدِنٍ... شُرِيَتْ وبيعَتْ...أكليلٌ مِنْ ورقٍ...ويومٌ لي في البيتِ...وفي الخارج الأَجْرَاسُ تُقَرعُ...والناس يركعُونَ، ...ويعتلي رجلُ الدّينِ أمامَ الجمهورِ، ...بصوتٍ من عسلٍ وأعينٍ من فُولاذٍ...يُطَنْطِنُ إنجيلَكَ المتواضعَ للمُسْتكبرينَ، ...لا أَحَدَ يُصغي، ...فكلماتُكَ لنا اقلُّ من الريح التي تهُبُّ... تلك الكلماتُ التي قُلتَها لتمُوت أنت ولتخلصَنا...يا أميرَ السَّلام...يا وردة سارَونه النَّديَّةَ يا لك!...كيف تضطجع ساكناً في قبرك المقبَّبِ...، ذلك الحجرُ الذي دحرجَهُ الملاكُ وهو يدمعُ... إنَّهُ ثانيةً فوق فَمِكَ طيلةَ الألْفِ سنةٍ هذِهِ.

ومن الأمثلة الأخرى على الأشعار الدينية لدى شاعرات الأعاجم أبيات في قصائد منوعة منها أبيات في قصيدة للشاعرة إملي دكنسون– امريكية – (١٨٣٠ -١٨٨٦) تحت عنوان معناه "رحيل" تقول في أبيات لها مترجمة:

قـد انتهـتْ مثنـىً مـن المـرَّات   قبـلْ انقضـاءِ خـاتمِ حيَـاتي

كلَّ الّذي نـدْري مـن العليـا السَّماءِ   الْبـينُ والظَّعـنُ بـلا مِيقـاتِ

فالشاعرة تعتقد أن الموت يجيء من السماء وأن الموت خاتم نهائي، فهي لم تتعرض لفكرة يوم القيامة أو الحساب والعقاب. ونلاحظ نفس الملاحظة في بيت للشاعرة كريستينا روزتي (١٨٣٠-١٨٩٤) في قصيدة تحت عنوان "أغنية" – عن قبرها –

أغْـدُو هُنـاك حَالِمـاً فـي كُـلّ فَجْـرْ   مـا مـنْ شُـرُوق زانَـهُ، أوْ غَـابَ مـرٌّ

إِذاك إنِّـي رُبَّمَـا أتـذكَّرُ   أو أنَّنـي أنسَـى فـلا اسـتذكرُ

الفصل الرابع

أشعار مقارنة في الحرب والوطنية والفخر

من الطبيعي أن تدلي الشاعرات بدلائهن في أشعار الحروب – على مستوى العالم – فالشاعرة قد تحض على الحرب في شعرها أو قد تتحدث عن الحرب أو قد ترثي شهيداً أو قتيلاً. ولربما اتخذ شاعر أو شاعرة موقفاً مناوئاً لقيام الحروب أصلاً.

أما النساء العربيات الشاعرات فقد تطرقن إلى موضوع الحرب في أشعارهن منذ الجاهلية وذلك مع قيام حروب ونزاعات كثيرة بين القبائل العربية نفسها – كما رأينا في شعر الإستغاثة – أو بين العرب من ناحية وبين الفرس من ناحية ثانية.فعلى إثر هجوم الفرس على قبائل عربية اجارت صفية بنت ثعلبة الشيبانية أجارت هند بنت النعمان(أواخر القرن السادس الميلادي) فأثنت الحرقة بنت النعمان – شقيقة هند وشاعرة مخضرمة- وبعد الانتصارات أثنت على صفية قائلة:

المجدُ والشرفُ الجسيمُ الأرفعُ   لصفيَّةٍ في قَوْمهَا يُتَوَقَّعُ

كما قالت أيضاًً وكان عمرو بن ثعلبة قائد العرب في تلك الحرب:

لَقدْ حازَ عمروٌ مع[1] قبائِلِ قومهِ   فَخاراً سما فوْقَ النَّجومِ الثَّواقِبِ

وفي نفس الحرب قالت صفية بنت ثعلبة الشيباني تستحث العرب ضد الفرس:

أحيُوا الجوارَ فقدْ أماتتْهُ معَاً   كلُّ الأعاربِ يا بَني شَيْبَانِ

على الأكاسر قد أجرت فوارسها   بكُهُولِ معشَرنَا وبالشَّبَّانِ

وهذه الأبيات كلها تتصف بلغة محكمة رصينه وذلك يتمشى ويتاوءم مع الغرض التي قيلت هذه الأبيات فيه وهو – الحرب ضد عدو مشترك للقبائل العربية.

ولكن وفي نفس الفترة الزمنية – وكانت الجاهلية لما تزل ماثلة – نجد أن الشاعرة عاتكة بنت عبد المطلب – عمة النبي محمد (ﷺ) تقول شعراً تفتخر فيه بانتصار قبيلتها قريش على قبيلة هوازن إثر مقتل الشاعر الصعلوك عروة بن الورد عام ٥٩٠م.وهذا ما قالت:

---

(١) اذا قلت (مَعَ) وهذا الأصل ينكسر البيت وهذا عيب شعري.

سـائِلْ بنَا فـي قومنـا وليكـف مـنْ شـرٍّ سـماعُهْ

قَيْسَـاً ومَـا جَمَعُـوا لنـا فـي مجمـعٍ بـاقٍ شَـناعُه

فيـه السَّـنوَّرُ والقنـا والكـبشُ ملتَمِـع قناعُـه

بعُكـاظَ يُعْشـي النَّـاظِرينَ إذا هـم لمحـوا شـعاعه

فيـهِ قتلنَـا مالِكـاً قَسْـراً وسلّـمَهُ رَعَاعُـه

ومُجَـدَّلاً غَادَرْنـهُ بالقَـاعِ تَنهشُـهُ سِـبَاعُه

وهذا مثال على العصبية القبلية. وما كان لعاتكة أن تقول شعراً كهذا بعد حلول الاسلام. أما الشاعرات الأعجميات وخاصة الغربيات فلم يعرفن مطلقاً أي شعر يتميز بالعصبية القبلية بل جاءت أشعار هؤلاء الشاعرات الأعجميات في حروب بين أمتهم وأمم أخرى – حروب خارجية لا أهلية محلية – وعشية نشوب معركة ذي قار – في الجاهلية – قالت صفية بنت ثعلبة الشيباني تحرض الشيخ العربي أبا جدابة على محاربة الفرس:

إيْـهِ جّـدَابُ سَـيدَّ الأعـرابِ يَـا معـدنَ الطَّعـان والضّـرابِ

بـالحْزمِ والعَـزْم وبالعَـذابِ شَـمِّرْ وَقُـم يَاوَيـكَ فـي النّقـابِ

وقول خولة بنت الأزور وقد حررت أخاها من الروم لما حاربتهم مع خالد بن الوليد في ١٣ هـ /٦٣٤ م في معركة أجنادين، حيث قالت:

أبعـدَ أخـي تلـذ الغمـضَ عينـي فكيـف يَنَـامُ مُقْـروحُ الجُفُـونِ

وقـالُوا " لِـمَ بكـاكِ؟" فقُلْـتُ مَهْـلاً أمَـا أبكِـي وقـدْ قَطَعُـوا وتِيِنـي؟

هذه أشعار كلها في محاربة عدو مشترك للعرب ككل، وكل هذه الأشعار ينطبق عليها ما قلنا من قبل من صفات وخصائص لأشعار حروب مماثلة.

لئن كان خصم العرب في السابق الفرس والروم فقيلت في حربهم الأشعار فخصم العرب اليوم هو الكيان الدخيل على الوطن العربي وهو ما يسمى "إسرائيل" التي قيلت أشعار كثيرة في الحروب التي يثيرها هذا الكيان ضد العرب منذ زرعه لدينا. فهذه الشاعرة نازك الملائكة (ولدت في بغداد ١٩٢٣) قالت شعراً تحت عنوان "الشهيد":

فـي دُجَـى الليـلِ العَمِيـقْ رأسـه النشـوان ألقـوه هشـيما

فَـــوْقَ أحجـــارِ الطّريـــقْ وأراقُـــوا دَمَـــهُ الصَّـــافيَ الكَريمَـــــــــــــــــــا[1]

هذا مثال من الأمثلة القليلة لأشعار لشاعرات عربيات قيلت في الحروب ضد إسرائيل. يلاحظ في هذه الأبيات تغير الوزن بين صدر البيت وعجزه وكذلك تغير في عدد التفعيلات شأن أشعار الموشحات. وهذه بعض التغييرات التي طرأت على الشعر العربي حديثاً.

وللحديث عن أشعار الشاعرات غير العربيات في موضوع الحروب نسوق ما يلي:

نلاحظ أول ما نلاحظ أن هذه الأشعار لم تقل نصراً لقبيلة ضد أخرى – كما رأينا عند بعض شاعرات العرب في الجاهلية.إن أهم أشعار الأعجميات واكب أحداث الحربين العالميتين الأولى ١٩١٤-١٩١٨ والثانية ١٩٣٩ – ١٩٤٥، علماً بأن حروباً كثيرة جداً نشبت بين مختلف دول أوروبا خاصة لمئات السنوات قبل الحرب العالمية الأولى لكننا لا نلاحظ شعراً نسائياً قيل فيها. ومن الأشعار التي قيلت غداة الحرب العالمية الثانية قصيدة للشاعرة (غريتابرغس) تحت عنوان معناه "لندن تحت القصف" وفي هذه القصيدة تصف الشاعرة آثار القصف – الألماني – على لندن، فتذكر أن أضواءها وأنوارها انطفأت، لكن هنالك أنواراً أخرى ظلت تسطع بأمجادها. ورغم كل ذلك فإن لندن لم تخضع وأنها ستبقى لماعة ولو أطيح بآخر جسر واسع فيها.وتعكس هذه القصيدة وطنية الشاعرة وتمسكها بلندن المقاومة الصامدة.

وقصيدة أخرى مشابهة للشاعرة (منا إرفنغ) تحت عنوان ترجمته "جيش الطائرات" (تصف فيها حركة الطائرات) الهادرة والمنظمة عبر فضاءات مقدسة للشمس وللقمر. وتذكر أن العالم يهتز وكيف أن كل شيء يكاد يطير من فعل هذه الطائرات. وتختتم قصيدتها بتحية لجيش الطائرات العظيم المنتصر. فعل الشاعرات العربيات، فهذه الشاعرة (منا ارفنغ) تعتز بأمتها وها هي تحيي جيش طائراتها المنتصر. وهذا كله من قبيل الوطنية والفخر .

إن الأشعار التي تدارسناها عن الحرب – إلى الآن – هي أشعار لا ترى غضاضة في نشوب الحروب وتحمد الإنتصارات فيها. غير أن هنالك شعراء وشاعرات يعبرن عن معارضة لنشوب الحروب فهي مهلكة مدمرة للجميع.فها هي الشاعرة (الكونتيسه آن فنش؟) تدعو في قصيدة لها تحت عنوان مترجم "موت الجندي" تدعو فيها السفن الحربية المبلسة وتقول لها ولمن عليها: جروا رماحكم...كفوا طبولكم...سيروا مواكب بطيئة من بعيد...واهدأوا!اليسكت

(١) إذا قلت "الصافي - وهذا الاصل – ينكسر البيت.

المزمار والناي! ولا تستعرضوا عبثاً الراية العالية، ...انظروا...فعلى النعش شاحبة ترقد الضحية التي سقطت قبل أجلها...من أجل محرابكم الآثم...ومن أجل دمية شرفكم الزائف!

إذاً فالشاعرة هذه (آن فنش) تطعن في الحرب وتعتبر أن كل ما يرافقها من إشهار سلاح والتجييش ونقر الطبول وعزف المزامير يؤدي الى نتيجة واحدة وهي سقوط الإنسان قتيلاً وربما قبل موعده الحقيقي مع الموت، هذا الإنسان الذي طلب الله (عز وجل) من الملائكة أن تسجد له. وعلى خلاف ذلك لم ينم إلى علمي أن شاعرة عربية اتخذت في شعرها هذا الموقف المناوىء للحرب.

وقصيدة أخرى مناوئة للحرب للشاعرة الروسية آنا أخماتوفا ١٩٢١ ترجمة إلى الانجليزية آفرل بايمان وألى العربية المؤلف، تقول فيها على لسان المنتصر في الحرب "لا منافس لي"...وليس لها أي اعتبار لديه...وانها حتى ليست من أحياء الأرض في نظره. وأنه لن يعفو عنها ولو ماتت...لكن بغير شمس لا يستطيع جسم أن يعيش ...ولا الروح دونما أغنية، وتتساءل الشاعرة...لكن ما الذي يحدث الآن؟

تهاجم الشاعرة في قصيدتها أمراء الحرب الذين يحقرون الناس...وتخرج الشاعرة بنتيجة أنه لا بدمن إدراك الحرية فبدونها لا يعيش الانسان.كلامها هذا معبر فهو الذي يجري على ارض الواقع. إن آخر قصيدتين كانتا تحملان على الحرب ولا تؤيدانه بعكس الاشعار السابقة لهما في موضوع الحرب.

وفي الوطنية أبيات للشاعرة (أليس ديورميلر؟) وهذه نبذة- من قصيدة لها بعنوان مترجم "الجروف البيضاء" تقول فيها: لقد شاهدت الكثير مما أكره...والكثير لأعفو عنه...لكنما عالم ...تنتهي فيه بريطانيا وتموت...لا أرغب العيش فيه...

وهذا قريب الشبه جداً من بيت الشعر العربي الذي يقول:

بـلادي وإن جـارتْ عَلَـيَّ عزيـزةٌ وَأهْلِـي وإنْ ضـنُّوا عَلَـيَّ كـرامُ

وأخيراً فإن هنالك شاعرة تدرك أن المجد والفلاح ليسا بالأمرين البسيطين اللذين يمكن إداركهما بسهولة وهي الشاعرة إميلي ديكنسون – قد مر ذكرها – فلها مقطوعة شعرية بهذا المعنى تحت عنوان ترجمته "الفلاح يعتبر الأحلى" تقول فيها ما ترجمته:

يُعتبر الفلاحُ الأحلَى...من قبل أُولئك الذينَ لم يفُوزوا...ألا إنَّ جَنيَ الرَّحِيقِ...يتطلَّبُ كَدَّاً مُؤلماً...ولا يَستطيعُ أحدٌ ممَّنْ رفعُوا اللواءَ عالياً...أن يُعَرّفَ بُوضوحٍ...ما هو النصر...فَعَلَى حِينَ تغلَّبَ هذا وهو يلفُظُ أنفَاسَهُ...فإنَّ

أُذنَـهُ تُـوَقِّرُ...أنْ تسـمعَ الأَنغـامَ البعيـدةَ للَّنصـرِ...تلـك التـي تَـدفَّقَتْ...وبشـكلٍ بينٍّ...آلاماً مُمضَّـةً...ولعمري هذا قريب من بيت الشعر العربي للمعتمد بن عباد:

لا تَحْسَـبِ المجْـدَ تمـراً أنْـتَ آكلُـهُ　　　لـن تبلُـغَ المجد حتَّـى تلعَقَ الصَّـبرا

الفصل الخامس

أشعار مقارنة في الطبيعة والبيئة

إن ما قالت الشاعرات العربيات في الطبيعة قليل عموماً خاصة إذا قيس بما نظمن الشاعرات الأعجميات.

وهنا أنوه بأن المقصود بشعر البيئة ليس فقط الحديث عن جمال الطبيعة بكل أشكالها من جبال أو أودية أو شجر أو أي نبات أو حيوان خاصة الوحشي، بل شعر البيئة يعني أن الشاعر – وبالإضافة إلى الوصف – يحث على احترام الطبيعة وعدم الإساءة لها والحفاظ على عناصرها. وهذا ما ندر أن نجده عند الشاعرات العربيات.

ومن الأشعار الجميلة والقليلة في وصف الطبيعة للشاعرات العربيات قول الشاعرة الأندلسية حمدة بنت زياد المؤدب (٤٢٢ – ٤٨٤ هـ) وهي خنساء الأندلس في وصف وادٍ تقول فيها:

وَقانَا لَفْحَةَ الرَّمْضَاء وادٍ ... سقاهُ مضاعفُ الغيثِ العَمِيمِ

تَرُوعُ حَصَاهُ حاليةَ العَذَارى ... فتلمسُ جَانبَ العِقْد النَّظِيمِ

نزلنَا دوحهُ فَحَنَا علينَا ... حنو المرضعات على الفطيمِ

يصدُّ الشَّمْسَ أنَّى واجهتْنَا ... فيحجبها ويأذنُ للنَّسِيمِ

وَأرْشَفنَا على ظمأٍ زُلالاً ... ألذّ مِنْ المُدَامَةِ للنَّديمِ

وهي أبيات جميلة حقاً في وصف وادٍ لشاعرة عاشت في الأندلس – البلد ذي الجمال الطبيعي الساحر بغاباته وأوديته وبجباله وسفوحها الدائمة الاخضرار، فكان طبيعياً أن تجيء شاعرة كحمدة تصف شيئاً من هذا الجمال الطبيعي.

ونفس الجمال الطبيعي متوفر في بلدان أعجمية كثيرة كما في أوروبا حيث الأمطار الكثيرة والإخضرار الدائم للطبيعة، لهذا نجد أشعاراً نسائية وغير نسائية في هذه الطبيعة الخلابة.فللشاعرة الروسية آنا أخما توفا قصيدة(نظمتها ١٩٥٩) بعنوان مترجم "حديقة صيف"ترجمة إلى الانجليزية إرينا جلزنوفا.وإلى العربية المؤلف، تتحدث الشاعرة عن الحديقة وعن الورد الجميل فيها:

وحنينها إليها...والتماثيلُ القديمةُ فيها...يحيط بها نهرُ نيفا...ثُمَّ اشجارُ الزيزفونِ العطرةُ التي تتَّجهُ عَالياً ...نحو السَّماء...شأنَ الملوكِ الأجلاء...إن الشاعرة إذا تمر بهذه الأشجار...أو تتوقف عندها قليلاً...تسمعُ تَأَوُّدَ قِممَ أفنَانِها...وغير بعيد ...فهنالك إوزةٌ...ولطيلة الوقتِ في البركةِ...تطفو بهُدوء ...إنها تعُومُ...وما من صوت لها...وقُورةٌ مُتَمهِّلةٌ...وتُطأطِئُ رأسَها...دوُنَ نظيرَتها في الماء أسفلَ منها...إن ضباباً رقيقاً بلون الُّلؤْلُؤ واليَشْبِ...يَغْشَى الشَّجرَ...إن الحديقةَ في أتمّ هدوءٍ...تستحمُّ في وهجِ الضَّبابِ...ومن أين يجيءُ النُّورُ؟...لا أحدَ يحاولُ أنْ يعرفَ...

إنه رسم لهذه الحديقة جاءت به هذه الشاعرة الروسية كلمات بدل الفرشاة والدهان وصف معبر وتشابيه حيوية فالأشجار عالية تتجه نحو السماء وكأنها ملوك كبار. والإوزة تحني رأسها لظلها في الماء وكأنها تحني رأسها احتراماً وتواضعاً. وتختتم الشاعرة القصيدة بسؤال عن النور من أين يجيء فلا تجد أن أحداً يحاول حتى أن يعرف الجواب.

ولما كان مناخ بلد معين يتحكم في معالم الجو والطبيعة فيه وبالتالي تقيد الشعراء بالكلام عما يخلف المناخ من مظاهر طبيعية توحي الشعر للشعراء فبلاد أوروبا الكثيرة البرد شتاءاً فيتحدث الشعراء عن الثلوج وما إليها في هذا الفصل.وهذه الشاعرة ستيلا بنسون (١٨٩٢-١٩٣٣) وهذه ترجمة لقصيدة لها تحت عنوان ترجمته "الصقيع":

آه...لا أحدَ يعلمُ ...الشَّيءَ الذي أَدرِي أنا...إلاَّ نَجمُ الصَّقيعِ...الذي يلبث لبعضِ الوقتِ ليلاً...ليحترقَ ويضيعَ في الصَّباح...هكذا سوفَ أَنْجَمِدُ...هكذا سوفَ احترقُ...حتى السُّكون...وأضيعُ ...هكذا سوفَ أعودُ ...لَيْسَ أنا...ليس أنا... بلْ رياحٌ تجيءُ من البَرّية...فتطوِّقُ أبراجَ الوردِ المزهرةِ.

إن الشاعرة هنا تشبه نفسها بنجم الصقيع الذي يختفي صباحاً فهي مثله سوف تقضي وتمضي ولكنها لن تعود.بل الذي يعود هو الرياح.

وفي القصيدتين الأخيرتين تنهي الشاعرتان قوليهما بإثارة فكرة عن الحياة فالأولى تقول أن لا أحد يحاول أن يعرف مصدر النور الذي هو أصل الحياة وكذلك بالنسبة للشاعرة الثانية التي تقول انها – كإنسان – سوف تفنى أما الذي يبقى فهو الطبيعة – الرياح.وهذه الاستنتاجات لا نجد مثيلاً لها عند الشاعرات العربيات.

ونتحول الآن إلى الأشعار التي توصي بالحفاظ على معالم البيئة من نبات وحيوان وتضاريس.

وكما قلنا فإننا لا نجد أشعاراً من هذا القبيل لدى الشاعرات العربيات.أما لدى الشاعرات غير العربيات فهنالك أولاً الشاعرة باتريشيابير(ولدت ١٩٢٤).

ولها قصيدة بعنوان ترجمته "صيد الأسد" تذكر فيها مترجماً:

أن الأسدَ ليس أسَداً عند الصَّيدِ الملكي...إنَّهُ نصرٌ يشرحُ صدرَ الملك.ثم تصف الشاعرة التعامل القاسي مع الأسد المصيد. إنه لشرف كبير للملك... أن يقتل الأسد...وها هِيَ الشَّفْرَةَ...بدأت تَحزُّ...وَبَعْدَ سِنينَ يَجيءُ مُجَدَّداً...وكذلك الملك...ويتصارعان بين الصخور القرْمزيَّةِ...ويهوي أمير ميتا مُسْتريحاً...والشّبلُ يتطلَّعُ ليتعلَّمَ...وَيَنزفُ دمٌ أُرْجُوانيٌّ من فخذِ الأسدِ وفخْذِ الملِكِ، لكنَّ السَّيْفَ الملتويَ يخزُ...والذي لا بُدَّ منه...هو أنَّ الحيوانَ هُوَ الذي يموُتُ.

يتضح في هذه القصيدة النقد الموجه للاعتداء على الحيوانات البرية في عقر دارها وقتلها والقضاء عليها بدم بارد.

وأبيات أخرى للشاعرة لوسي دايا موند(؟)تحمل عنواناً مترجماً "الأرانب"تقول فيها: إن الأرانبَ...ذاتَ الفراء تظلُّ جدَّ هادئةٍ...وهي تنظرُ إليَّ عبرَ الأعشابِ...حينما أمشي أتسلُّقُ التَّلَّ...لكنْ إذا حاولتُ الإقترابَ ...لألتحق بهمْ في لَعِبهمْ...فلا ألمحُ إلاَّ بريقاً أبيضَ...ثمَّ يختفِين...ولن يظلَّ منها واحدٌ!

وتشير الشاعرة في شعرها هذا إلى أنه يجب أن لا تقترب – مجرد اقتراب – من الأحياء البرية، علماً بأنها في نهاية، المقطوعة تتنبأ أن الإنسان سوف يقضي بطغيانه على هذه الحيوانات اللطيفة ولن يظل منها واحد.

□الفصل السادس

أشعار مقارنة في الدنيا في الحياة والموت

لا شك في أن الحياة بالغة الأهمية للإنسان، فكم من ثري بالغ الثراء به سقم وتمنى الشفاء وأن يفقد كل أمواله.أن نظرة العربي وخاصة – المسلم ربما اختلفت عن نظرة بعض الإفرنج – وليس بالضرورة كلهم بالنسبة للدنيا، للحياة وللموت.وذلك أن لدى الأمم غير الإسلامية مدى من حرية الفكر والعقيدة فليسوا كلهم ممن لديه عقيدة راسخة بالإيمان بالقدر وبما تنص عليه الأديان.وبالتالي قد تختلف النظرة بين الجانبين الى الدنيا والحياة والموت ويصدق هذا القول على الشعراء والشاعرات عامة.

وبالرجوع إلى المراجع والمصادر المتاحة فإن كل ما نرى من أشعار للشاعرات العربيات ولها علاقة بالموت تكون مراثي، وما أكثر ما تعدد الشاعرة العربية مناقب الفقيد.أما الشاعرات غير العربيات وغير المسلمات فمن أهم ما يميز أشعارهن عن الموت خلو هذه الأشعار من أية فكرة عن الثواب والعقاب أو يوم القيامة. كما أن هؤلاء الشاعرات قد يناقشن في أشعارهن كنه العالم كما نرى في هذه القطعة الشعرية للشاعرة كاثرين رين (ولدت ١٩٠٨) بعنوان ترجمته (العالم) ومما تقول فيها مترجماً:

إنَّهُ يحترقُ في الفراغ...ولا شيءَ يُمسكُه...ومافَتىءَ مُسافراً...يسافرُ في الفراغ..يُمسكُ بهِ الحريقُ... لا شيء ساكنٌ...إنَّهُ يسافرُ مشتعلاً...يرفعُهُ الفَراغُ...ومازالَ لا شيءَ... لا يُسافرُ شَيئاً...فضاءٌ يحترقٌ...يدعُمُه السُّكُونُ.

في شعرها هذا تذكر الشاعرة حقائق عن الكون: يحترق (فالشمس تحترق)، مسافر-فالمجموعة الشمسية دائبة الحركة- يرفعه الفراغ فمجموعتنا الشمسية تلف وتدور عبر الفضاء.

وبخصوص طبيعة الإنسان في حياته هذه قصيدة الشاعرة (اليزابيت جينغز؟) بعنوان ترجمته "لحم واحد" وهذا بعض ما تقول فيها مترجماً:

إنَّهما يضطَّجِعان الآنَ منفصلينِ...كلٌّ في سريرٍ مستقلٍّ...هُوَ مَعَهُ كتابٌ...ويبقى النُّور...شاعِلاً طويلاً...وهي كالبنتِ تحلمُ بالطفولة...يَبْدُوانِ كما لَو أنهمَا...ينتظرانِ...بعض حدثٍ جديداً...فهو يرفعُ الكتابَ...ولا يقرأ فيهِ...أما هي فعيناهَا ثابتتَانِ في الأعْلَى...في الظِّلالِ...إنهُما منفصلانِ – وبشكلٍ غريبٍ...رغم أنهما جدُّ قريبينِ...من بعضِهِما...إن السُّكون بينهُمَا مثلُ خيط..يمكن الإمساكُ به ...ليس كالرِّيحِ بينهما... والوقتُ في حَدِّ

ذاتهِ...ريشةٌ...تمسُّهُما برفقٍ...هل هُما على علْم...أنَّهمَا عجوزانِ؟...هذا الزَّوجُ اللذان هما أبي وأُمِّي...هذانِ اللذانِ من نارهمَا قدْ جئتُ...قد شَاخَا.

وعن الأشعار التي تذكر الموت للأعجميات قصيدة للشاعرة (كريستينا روزتي) -وقد مر ذكرها - بعنوان "جناز" وهذه بعض أبياتها مترجمة:

إذا ما متُّ فاحلُم يا حَبيبي فدعْ نَوْحاً ودَعْ كلَّ النَّحِيبِ

لا تَزْرعَنَّ عند رأسِي من زُهورْ كَلاًّ ولا صنوْبَراً ظِلاً حريرْ

إلى أن تقول ذاكرة قبرها المستقبلي:

أغدُو هناكَ حالماً في كُلّ فجرْ ما منْ شُرُوقٍ زانهُ أو غابَ، مرَّ

إذاك إنّي رُبَّما أتذكَّرُ أو أنَّني أنسْى فلا أستَذكِرُ

إن الشاعرة إذ تذكر موتها لحبيبها وتشير إلى ما عليه أن يفعل إزاء ذلك فهي لم تتطرق إلى ذكر أي شيء عن فكرة الثواب والعقاب والآخرة.

وكذلك في قصيدة للشاعرة الأمريكية إميلي دكنسون (١٨٣٠-١٨٨٦) تحت عنوان مترجم "رحيل" وهذه أبيات منها مترجمة:

قد انقضتْ مثنىً من المرَّاتِ قبل انقضاءِ خاتمَ حياتي

وأنمَّا يبقَى علينَا أن نرَى إذا الخُلوُد في الزَّمانِ الآتِي

يَأتي لنَا بحادثٍ مُجدَّداً يكونُ ثالوثَ التَّحَوُّلاتِ

فالشاعرة إذاً سوف تنتظر لترى ان كان ثمة من جديد بعد الموت وهذا جديد على الشعر العربي ككل فليس فيه شيء من هذا القبيل.

ومن المواضيع التي لها علاقة وشيجة بالموت الرثاء: كلام رقيق يصدر عن إحساس عميق بفقد عزيز سواء كان من الأقارب أو الأصدقاء أو غير ذلك ممن يستحق الرثاء بنظر الراثي.

ولما كانت العلاقات الاجتماعية خاصة بين الأقارب لدينا أمتن مما هي عليه عند غير العرب والمسلمين إيماناً بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وعلى سبيل المثال الآية القرآنية الكريمة ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ والأحاديث الشريفة ومنها (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) و(المسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه

عضو تداعت له سائر أعضاء الجسد بالسهر والحمى) هذه العلاقة الحميمة التي يفترضها الإسلام بين الأقارب خاصة وبين المسلمين عامة توجد حبا كبيراً يربط بين الأفراد ومن هنا كان لفقد قريب أو عزيز أو شخص محبوب عظيم رد فعل حزين واسف عميق في نفس الشخص الراثي.وبالتالي واعتماداً على هذا التبيين نلاحظ أن شعر الرثاء في الأدب العربي أداء ملموس بشكل أكبر مما هو لدى الأعاجم وخاصة الغربيين.

ومن الأمثلة القليلة على الشاعرات الراثيات الأعجميات الشاعرة إملى برونتي (١٨١٠-١٨٤٨) تحت عنوان ترجمته "تذكار" وهذه ترجمة لبعض أبياتها:

أيها الجسمُ المبتردُ في الأرض...والثَّلجُ السَّميكُ يتكدَّسُ فوقكَ...أيها النائي بعيداً...المبتردُ في قبرِكَ الموُحشِ!...هل نسيتُ ...يا حبيبي الوحيدَ...أنْ أُحِبَّك...يا منْ بتَرتكَ موجةُ الدَّهرِ البتَّارِ؟...إنَّني كَفْكَفْتُ دموعَ الحُزنِ العابثِ...وفطمتُ روحي العزيزةَ عن الحنين لروحكَ...وبشدَّةٍ أنكرتُ عليها رغبتَها اللاَّهبةَ...في التَّهافُتِ على قبرِ أعزَّ عليَّ الآن من قبري...ومع ذلك لا أجرُؤُ أن أدعَ عواطِفي تَذوي ...ولا أجروُ أن أنغمِسَ في ألم الذكرى المنتشي، ...أما وقد احتسيتُ كأساً حتَّى الثُمالةَ...من ذلك العذابِ الرَّبَّانِّي، ...فكيف لي أنْ أتطلَّبَ الكوْنَ العابثَ ثانيةً؟

ثم هذه هي الشاعرة الروسية (فيرا انبر) التي نظمت (١٩٢٤) قصيدة في رثاء الزعيم السوفيتي -لينين- تحت عنوان " خمسة أيام وخمس ليال" وهذه ترجمة لبعض أبياتها:

قبل أن يدفنوهُ في ضريحهِ...لما غابَ عن ضُوء النَّهارِ ...سُجّيَ خمسةَ أيَّام بلَياليها...ساكِناً في القاعة المعمَّدةِ...ومن فوق الأرضِ التي هجرها...تَشَبَّثَ صقيعٌ وحشيٌّ وكأنَّي بهِ وقد أخذَ معهُ...بَعضاً من دِفئِنَا...لخمْسِ ليالٍ لم ينم أحدٌ في موسكو...لأنَّهُ راحَ ينامُ، ...ولقد ظلَّ القمرُ مُراقِباً وحَارِساً وَقُوراً حَزيناً.

وعلى عكس هذه الأشعار الرثائية التي لا تتعدى كثيراً ذكر الموت والقبر نجد أن الشاعرات العربيات إذا ذكرن الموت فإنهن لا يتطرقن إلى القبر في الرثاء بل بدلاً من ذلك يندبن المتوفي باكيات ويعددن مناقبه. فللخنساء (تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية) وهي شاعرة مخضرمة في رثاء أخيها صخر:

قَــذىً بعينــكِ أم بــالعينِ عُــوَّارُ   أم ذرَّفتْ إذ خَلَتْ منْ أهْلِهَا الدَّارُ؟

وإنَّ صــخراً لتــأتمُّ الهــداةُ بــه   كأنَّــهُ علَــمٌ فــي رأسِــهِ نــارُ

كما قالت ترثي أولادها الأربعة الذين قتلوا في معركة القادسية(٦٣٥م/١٤هـ) قصيدة هذا جزء منها:

تَعَرَّقنـــي الـــدَّهْرُ نهســـاً وحَـــزًّا وأوجَعَنــي الــدهرُ قرعــاً وغَمــزَا

وأفنَـــى رِجَـــالي بـــادُوا معَـــاً فغُـــودرَ قلْبـــي بهـــمْ مســـتفَزَّا

كـــأنْ لـــمْ يكونُـــوا حمـــىً يُتَّقَـــى إذ النَّـــاسُ إذاك مَـــنْ عَزَّبَـــزَّا

وكَـــانوا سُـــراة بنـــي مالـــكٍ وزيـــنَ العشـــيرةِ بـــذلاً وعِـــزَّا

ويظهر من هذا تمكن الخنساء من ملكة الشعر الذي نظمته بتواتر خاصة في الرثاء الذي أجادت القول فيه فقيل انها أرثى الشاعرات العربيات. ويدلنا على هذا الإبداع الشعري القصيدة التي منها الأبيات الأخيرة والتي بنيت على روي هو حرف الزين(ز) وهو من الحروف الهامسة فيعطي نبرة ونغمة تؤكد على مناقب الشهداء أبناء الراثية، ثم ان هذا الحرف أقل وروداً من غيره من الحروف كروي.

وهذا بيت شعر في الرثاء قالته زينب بنت مالك – أخت ملاعب الأسنة – ترثي يزيد بن عبد المدان وكان قد أطلق سراح أخويها بعد الأسر:

سَـــأبكِي يزيـــدَ بـــنَ عبـــدِ المـــدَانِ علـــى أنَّـــهُ الأحْلَـــمُ الأكْـــرَمُ

الفصل السابع

أشعار مقارنة في "العقل"

هنالك كتابات محدودة جداً في موضوع العقل من قبل الشاعرات العربيات والأعجميات على السواء.لكن الفرق واضح بين الطرفين فعلى حين تركز الشاعرة العربية على خصال صاحب العقل، نجد أن الشاعرة الأعجمية تناقش العقل في حد ذاته لا من حيث خصائص صاحبه.ويتضح هذا فيما يلي:

قالت الشاعرة العربية جمعة بنت الخس وهي شقيقة الشاعرة هند بن الخس السالفة الذكر في العقل:

أشَدُّ وجوهِ القولِ عندَ ذوي الحجَا	مقالـةُ ذي لـبٍّ يقـولُ فيُـوجِزُ
وأفضـلُ غُـنمٍ يُسـتفادُ ويُبتغـَى	ذخيـرةُ عقـلٍ يحتويهَـا ويُحْـرِزُ
وَخيـرُ خِـلالِ المـرءِ صـدقُ لسانـهِ	وللصِّـدق فضـلٌ يسـتبين ويبـرزُ

في هذه الأبيات نرى أن الشاعرة تتحدث عن طباع حميدة لدى صاحب العقل فهو يوجز في كلامه ويصدق في أقواله.

أما الشاعرة (ماريان مور- أمريكية- ولدت سنة ١٨٨٧) ففي قصيدة لها تحت عنوان ترجمته "العقل شيء ساحر"تقول ما ترجمته:

يَتحسَّسُ العقلُ طريقهُ...كما لو كَانَ أعْمَى...إنَّهُ حادٌّ محزَّزٌ كمنقارِ طائرِ الكيوِي...وكأنهُ لـه مخـرزٌ كمنقار هذا الطـائرِ...ولـه حُلَّتـهُ الواقيـةُ مـنَ المطَرِ...والتي هيَ من ريش شعريٍّ... يتحسسُ طرِيقُه...ويسيرُ قُدُماً...وعَيْنَاهُ في الأرض...إنَّ لَـهُ ذاكـرةً فتسـمعُ...دُونَ وجُـوبِ ذلـكَ ...إنَّـهُ طاقـةُ سـحرٍ قـويٍّ...إنَّـهُ كعُنُـق اليَمَامـةِ...تُنعِشُـهُ الشَّـمسُ...إنـه عـينُ الـذَّاكرةِ...يُمَـزّقُ الحُجُـبِ...كَمَا يمـزقُ الإغـراءَ...ويُمـيطُ الضَّـبابَ الَّـذِي يرتديـهِ القلـبُ...عـن عينيهِ...إن كانَ للقلبِ وجهٌ ...إنهُ يُودِي بالابتئاسِ...إنَّهُ تلألُؤُ الرّيش في عُنُقِ الحَمَامَةِ...نظامٌ يُخضِعُ تشويشَهُ للتَّجرُبةِ ...إنَّهُ ليسَ قسمَ حَيرُودُ[1] الذي يستحيلُ أن يتغيَّرَ...

في القصيدة – وكما هو واضح – تتحدث الشاعرة عن خصائص العقل في حد ذاته لا عن خصائص صاحبه.

---

(١) «حيرود» ملك يهودا ٧٣- ٤ق.م.

الفصل الثامن

أشعار مقارنة في موضوع الأطفال

ان الدواعي – لدى الشعراء – لنظم الشعر عديدة، لكنها كلها تنطلق من منطلق واحد هو الإحساس بأن هنالك أمراً في نفس الشاعر لا يستطيع حياله إلا التعبير عنه لتهدأ نفسه ولتنسجم. وحقاً فمن تلك الدواعي الهامة حب الأطفال بنين وبنات. الا وإنهم زينة الحياة الدنيا. ولعل موقف الدين الإسلامي من الأطفال عامل من العوامل التي شجعت حب النسل عند العرب المسلمين.فقد ورد في القرآن الكريم (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) وفي الحديث الشريف "تكاثروا وتناسلوا، فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة "لهذا ولعوامل أخرى كان حب الذرية والخلف لدينا أكبر مما لدى الأمم الأخرى ممن ينعتون بدول العالم الأول أو الدول المتطورة. وينعكس هذا في تحديد النسل عندهم. فالوضع المثالي لديهم أن يكون للأسرة طفل واحد فقط سواء كان ولداً أو بنتاً. وإذا وصلنا تدارس الأشعار في هذا الصدد فإن الأمر ينعكس فنحن لا نجد شعراً نسوياً عربياً في حب الأطفال بينما هو موجود بشكل بين لدى الشاعرات الأعجميات.هناك الشاعر الأندلسية خنساء الأندلس حمدة بنت زياد المؤدب – مر ذكرها – ترثي طفلاً صغيراً فتقول:

يَعِـزُّ علَيْنـا أن نُوَسِّـدكَ الثَّـرَى ... بمجهَلَـةٍ لا دارَ فيهَـا ولا أهْـلا

وقد كنتُ أرجُو أن يَطُولَ لَكَ المدَى ... وأنـك إنْ تـأتِ الـرَّدى تأتِـه مَهْـلا

عَلَـى أنَّـهُ مَـا لَـذَّةُ العـيشِ للفَتَـى ... وغايتـه شرخـاً كغايتـه كَهْـلا؟

عليـكَ السَّـلامُ كلّنَـا أنـتَ فاقتَعِـدْ ... ضـريحكَ لا حزنـاً تُبـالي ولا سَـهْلا

وإذا كان حب النسل يميزنا نحن العرب فجلنا – وخاصة فيما سبق - يفضل البنين على البنات – لأسباب عدة منها الناحية الاقتصادية.وفي هذا المقام يحضرني بعض أبيات في هذا المعنى فهناك الأعرابية التي تقول عن زوجها:

مـالأبي حمـزةَ لا يأتينَـا ... يـذهب للبيـت الـذي يلينـا؟

غضـبانُ أن لا نلِـدَ البنينـا ... ذلـك أمـرٌ لـيس فـي أيـدِينا

وإنَّمـا نُعطـي الّـذِي أَعْطِينَـا

وكذلك قول امرأة لأخرى تلد:

يـا سـحابَ طَرّقِـي بخيـرِ وطرّقِــي بخصــيةٍ وأيــرِ

ولا تُرينــــــــي طـــــــــــرفَ البُظَيـــــــــر

ومن الأمثلة العديدة لحب الأطفال لدى الشاعرات الأعجميات مايلي:
للشاعرة الانجليزية(دوروثي ويردزويرث ١٧٧١-١٨٥٥)قصيدة بعنوان "امرأة الكوخ لرضيعها" وهذه ترجمة لأجزاء من هذه القصيدة:

نهارُنــــــا ابتـــــــرادُ وليلُنـــــــا يـــــــزدادُ

ريـحُ الشَّـمال فـي أســىً علالهَـــــا إنشـــــادُ

فاهدأ على صَدْرِي استرحْ فكُـــلُّ أشـــياءِ المـــرحْ

الآن فــــي اســــتراحةِ وفــــي هـــدوءٍ ثابـــتَ

إلاّكَ أنـــــــتَ مُنْيَتـــــــــي

لا تصحُ منْ هذا الضّياءْ فإنَّـــهُ بـــدرُ السمـــاءْ

مــن فــوقِ شُــبَّاكَ نــدِيٌّ مـن فعـل غيـث يـا بُنــيٌّ

* * *

فَــنمْ حَبيبــيَ الصَّــغيرْ واغفُ إلى الصُّبحِ المنيرْ

كذلك في حب الأطفال والحديث عنهم تقول الشاعرة (لوسي دايا موند؟) في قصيدة لها على لسان طفل بعنوان ترجمته "الطريق" تقول فيها ما ترجمته:
خارجَ بوَّابَة حديقتَنا الصَّغيرة...تتعرج الطريقُ الطَّويلةُ البيضاءُ...بَعِيداً ومنحدرةً عبر التَّلّ...وما أكثرَ ما أتطلَّعُ ...عبرَ القُضبَانِ ...حينَما أتعبُ منَ اللَّعبِ...وأتمنَّى لو تتبَّعتُ هذا الطريق في يوم صيفٍ سعيدٍ...ويعبرُ الكبارُ...منْ تحتِ الأشجَارِ...التي تقف شامِخةَ ومستقيمةً...أمَّا أنَا...فعَلَيَّ أن أبقَى في البيتِ وألعبَ ...فأنا صغيرٌ جداً ...وعليَّ أن انتظرَ حتَّى أكبرَ ...وأقَوى ...قبلَ أن أذهبَ لأرَى...ما يكمنُ في هذا الدَّربِ العَظيمِ الأبْيضِ...ذلك الذي تستَحِثُّني الآنَ.
وقصيدة لشاعرة انجليزية مجهولة بعنوان معناه "تهليلة" ترجمتها:

هَدْهِدْ، فإنَّ الموجَ يَدْنُو أبيضَـــاً مــنَ الزبـــدْ

أمَّـا أبـوكَ فـي انشغــالٍ وعَنــــــاءٍ يجتَهـــــدْ

والطَفـلُ فــي البيــتِ ينــامْ

أصْـغِ، الرّيَـاحُ صـوَّتَتْ   صَـوْتاً أجـشَّ وَعَميـقْ

وإنَّهـــا لَفـــي قُـــدُومٍ   عــاجلاً علــى الطّرِيـقْ

والطَفْـلُ فــي البيـتِ ينَــامْ

هَدْهدْ، فمنْ فوقِ التِّلالْ   الغيـثُ يَهْمـي باتّصــالْ

حيـثُ مَضَـتْ شَقِيقَتـُك   حيـثُ مَشَـتْ أنِيسَتـُكْ

بَحثـــاً عَـــنِ الأبقَـــارِ   فـــي تلكـــم القفـــارِ

نعِّـــسْ وإبْـــدَأ المنـــامْ

إن كل أشعار الاطفال التي ناقاشناها حتى الآن هي أشعار قلنها شاعرات بدافع حب الأطفال أي أن هذه الأشعار قيلت عن الأطفال.أما الآن فسوف نستعرض أشعاراً قيلت ووجهت للأطفال كي يتدارسوها ويفهموها وربما يغيبوها كهدف تربوي علمي.

ومن الأشعار الكثيرة نسوق الأمثلة التالية:

فللشاعرة (مادلين بردجز؟) مقطوعة شعرية بعنوان ترجمته "مرآة الحياة" تقول فيها ما ترجمته:

امنح العالمَ ما عندكَ...ولسوفَ يعودُ إليكَ خيرٌ منهُ...امنح الناسَ المحبةَ...ولسوفَ ينسابُ الحبُّ إلى قلبكَ قوَّةً لك في أشدِّ حاجاتكَ...ليكنْ عندكَ إيمانٌ...ولسوفَ تثقُ بما تفعلُ قلوبٌ شتَّى.

وقطعة شعرية أخرى موجهة للأطفال للشاعرة "ليدي إرسكين كرم؟ " بعنوان "تصبحون على خير" تقول فيها ما ترجمته:

"تو وتْ!...توهُو!...توهو!...تصبحونَ على خيرْ...لي...تصبحونَ على خيرْ...لكمْ..." إنّهُ البومُ الهرمُ...في شجرة العلَّيقِ...لكنّني لا أستطيعُ أن أراهُ...وهُوَ لا يستطيعُ أن يَراني...

وأخيراً مقطوعة شعرية (لبياترس براون؟) موجهة للأطفال بعنوان"طيارتي الورقية" تقول فيها مترجماً:

الرّيـــــحُ هــــذِي ساريـــَـهْ   منهــــا الغيـــومُ جاريَـــــهْ

تتابـــع النحـــل الجميـــل   والفراشـــــــات تجُـــــولْ

وتعــزفُ اللّحْــنَ الطّــرُوبْ   فــي الـدَّوْح للسَّـمع يطيـبْ

طيَّارتِـــــي ذي تُرسِـــــلُ   أعلَـــى وأعلَـــى تحمــــلُ

حتَّـــى تضـــيعَ فـــي السَّـــماءْ   يكـــــادُ يخفيهَـــــا خفـــــاءْ

وما أود أن أقول بخصوص المقطوعة الأخيرة أنها وردت في ستة أبيات بالإنجليزية جعلت الشاعرة أربعة أبيات منها للحديث عن الرياح وخصصت آخر بيتين للحديث عن الطائرة مع أن الطائرة هي موضوع المقطوعة وعنوانها.وكان حرياً بالشاعرة أن تعنون القطعة "الرياح".

الباب الثاني

دراسة أشعار مقارنة ...شعراء رجال

الفصل الأول

أشعار مقارنة في الحياة والموت

لقد شغلت قصة الحياة والموت بال بني البشر منذ القدم ولن يفتأ هذا الأمر يداهم فكر الإنسان ما دام موجوداً على ظهر هذا الكوكب. لقد تنوعت وتعددت آراء الشعراء في البحث عن حقيقة الأمر فمن مسلم بالقضاء والقدر إلى من يقر بأنه لا يعلم شيئاً عن كنه الحياة والموت ... إلى من يصف الحياة بأنها فقاعة جوفاء...أو ظل يتمشى ...إلى شاعر محب للحياة داع لإجلالها وإكبارها مما يستدعي هذا الشاعر وأمثاله أن يصفوا الطغاة الذين يعتدون على الأناس الآمنين فيوسعونهم قتلاً وتشريداً بأن هؤلاء الطغاة الظلمة هم أعداء الحياة...وإلى أن نصل نقيض كل ذلك في الطرف الآخر حيث نجد شاعراً يكره الحياة ويعتبرها عبئاً وجرماً أرتكب بحقه كما يبدو في بيت الشعر الذي أوصى الشاعر والفيلسوف العربي (أبو العلاء المعري ٩٧٣-١٠٥٧) أن ينقش على قبره وهو:

هــذا جَنَــاهُ أبِــي علَــيَّ   ومــا جَنَيْــتُ علَــى أحــدْ

فإذا كان أبو العلاء إرتأى أن حياته كانت جناية ارتكبها أبوه في حقه فربما يبرر ذلك بأن أبا العلاء فقد نظره يافعاً فتشاءم من الحياة ومن الناس وظل قعيد البيت فسمي (رهين المحبسين).

وبنفس مستوى تباين نظرة الشعراء إلى الحياة كان تباين في نظرتهم إلى الموت أيضاً فمنهم – عرباً وعجماً – من يؤمن بأن الموت طريق إلى الآخرة، ومنهم من لا يتخذ موقفاً محدداً أو قد يكون سلبياً. ان هذه الفوارق الفكرية لدى الشعراء في الحياة والموت لا تظهر فقط بين الشعراء العرب والمسلمين من ناحية وشعراء الأعاجم من ناحية أخرى، لكن هذه التباينات تظهر أيضاً بين شعراء الفريق الواحد كما سوف نرى...وهكذا يتواصل هذا التباين الفكري في الحياة والموت لدى الشعراء خاصة والمفكرين ككل عامة ما دام الإنسان لم يوحد إفكاره ونظرته لهذين الموضوعين.

ولما كان الموت مصير كل حي على سطح الأرض ولما كان الكل يعلم ذلك فإن شاعراً يذكر الموت في شعره لا يأتي بشيء جديد. لكن يهمنا أيضاً الحديث عن الإنسان ومصيره بعد الموت. ومن هنا جاءت مؤلفات بالغة الأهمية مثل ""رسالة الغفران" لأبي العلاء المعري (وقد مر ذكره) والعمل الثاني "الكوميديا الإلهية " للشاعر الإيطالي (دانتي الياري ١٢٦٥ – ١٣٢١ م)

والـذي نسـجه علـى منـوال "رسـالة الغفـران" للفيلسـوف والشـاعر العربـي "أبـي العلاء المعري"رحمه الله.

ومن أوائل من قـال شـعراً فـي المـوت مـن العـرب قـس بـن سـاعدة الإيـادي (الجاهلي توفي ٦٣٥م/١٤هـ) الذي قال:

فـي الـذّاهِبين الأوَّلـين مـن القُـرُون لنَـا بصَـائـرْ
لمَّـا رأيـتُ مـوارِداً للمَـوْت لـيْسَ لهـا مصَــادرْ
ورأيــتُ قــومِي نحوهــا يمضِــي الأصَــاغِر والأكَــابرْ
مـا راجعـاً قـومي إلـيَّ ولا مِـنَ البـاقِين غابــرْ
أيقنـتُ أنِّـي لا محالـةَ حيـثُ صَـارَ القومُ صَـائرْ

أن قسـاً فـي أبياتـه هـذه لـم يـأت بجديـد عـن المـوت وإنمـا هـو ذكـر المـوت وحسب (شأن كثير من الشعراء قدماء ومحدثين) ومـن ناحيـة أخـرى فالكل يعلم أن الإنسان مصيره الموت ولكن يهمنا أيضاً الحديث عما بعد الموت.

أما قول الشاعر النابغة الجعدي (توفي سنة ٦٨٤ م شاعر مخضرم)

المـرءُ يهـوى أن يعـيشَ ... وطـولُ عمـرٍ قد يضـرُّهْ
تـذوي نضـارتُهُ ويعبـرُ بعـــد ... حُلــوِ العــيشِ مُــرُّهْ
وتتـــابعُ الأحـــداثُ حتَّـــى لا يَـــرَى شَـــيئاً يسُـــرُّهْ

فقريـب فـي معنـاه مـن بيـت الشـعر للشـاعر زهيـر بـن أبـي سلمى (شـاعر جاهلي) الذي يقول فيه:

سـئمتُ تكـاليفَ الحيـاة ومـنْ يعـشْ ... ثمـــانينَ حـــولاً لا أبالـــكَ يســـأمِ

على أن ابن هذا الشاعر الأخير وهو كعب بن زهير شـاعر مخضـرم يعبـر عن إيمانه بأن الحياة من لدن الله عز وجل وهو الذي يتحكم فـي الحيـاة والمـوت فيقول في لاميته التي مطلعها:

بانـــتْ ســـعادُ فقلبـــي اليـــوم مَتبُـــولُ ... مُتَـــيَّمٌ إثرَهَـــا لـــم يُفـــدَ مكبُـــولُ
وقلـــتُ "خَلّـــوا ســـبيلي-لا أبـــالكُمُ- ... فكُـــلُّ مـــا قـــدَّرَ الـــرَّحمنُ مفعُـــولُ
كُـلُّ ابـن أنثـى وإن طالـت سـلامته ... يومـــاً علـــى آلـــةٍ حـــدباءَ محمـــولُ

وفي مقابل هذه الأشعار العربية عن الموت نجد الشـاعر الانجليـزي أوليفـر سنت جون غوغارثي (١٨٧٨-١٩٥٧) يعبر عن أن الإنسان يكسب من الموت

بتقريبه له من الحياة الأبدية – حياة الآخرة في قصيدة له عنوانها " إلى الموت"يقول فيها (مخاطباً الموت) مترجماً:

أينَ بسالتُكَ لولا إرهابُك؟...وهل كان للحُبِّ إلاَّ أن يعترضَ طريقكَ؟ أيها الآخذُ العَاطِي، ...انَّما أنتَ في – كل أَدَائِكَ- تترُكُنا وقد غَنِمْنَا أكثرَ مما تُصيبُنا بالفَنَاءِ!

وفي هذا المعنى – الجزاء في القيامة – يقول الحطيئة – شاعر مخضرم:

ولستُ أرى السعادةَ جمْعَ مالٍ ولكنَّ التَّقِيَّ هو السَّعيدُ

وَتَقوَى الله خيرُ الزَّادِ ذخْراً وعِنْدَ اللهِ للأ تقى مَزِيدُ

وشاعر انجليزي آخر يرى أن الأعمال الصالحة فقط هي التي تنفع صاحبها يوم الحشر هذا الشاعر هو(جيمس شيرلي) ١٥٩٦-١٦٦٦ يقول في قصيدته "الموت العادل" ما ترجمته:

إنَّما أمجادُ بأسِنَا وغاياتِنَا...ظِلالٌ...وليست أشيَاءَ حقيقيَّةً، ...ما هنالك من سلاح ضدَّ المَوْتِ ...إن الموتَ ليضَعُ يدهُ البارِدةَ...على الملُوكِ...أمَّا التَّاجُ والصَّولجانُ..فلا بدَّ أنْ يهويَا...وفي الرَّغَام يتساويَانِ...وَالمسحاةَ والمنْجلَ المعقُوفَ...رُبَّما يكسبُ السَّاحَ رجالٌ بسُيوفِهِمْ...فيزرعون الغارَ غضَّاً...حيث يُجرمون، ...إلاَّ أنَّ أعصابهُمْ القويَّة...سوف تستسلِمُ أخِيراً...إنَّهم سوف يسلُسُونَ...لكنَّ شَيئاً واحِداً يبقَى...فإنْ آجلاً أو عاجِلاً...لسَوْفَ ينحنُونَ أمَام الموتِ...ولسوفَ يسلمون أنفاسهم المحشرجة...حينما يحبُون أسارى شُحَّباً...نحو الموتِ...ولسوف تجفُّ الأكاليلُ فوق حاجبيكَ...وعند ذلك لن تستطيع أن تتفاخرَ...بأعمالكَ البطُوليَّة...إشهَدْ الآن كيفَ يتخضَّبُ المذبحُ الأرجُوانيُّ...بدَمِ القاهِرِ المقهُورِ، ...ولسوفَ تنجرُّ هامتُكَ...إلى القبرِ ...فقطْ هي الأعمالُ الصَّالحةُ يعبقُ شذاهَا...وتزهرُ في التُّرابِ.

ومن بين هذه المواقف المتباينة للشعراء من موضوع الحياة والموت نجد شعراء يقفون حيارى فلا يهتدون إلى رأي نهائي كالشاعر إيليا أبي ماضي (١٨٨٩-١٩٥٧) في قصيدته "الطلاسم" حيث يقول :

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت

ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت

ولسوف أبقى سائراً شئت هذا أم أبيت

كيف جئت؟كيف أبصرت طريقي؟ ...لست أدري

وكذلك يتساءل الشاعر الفارسي عمر الخيام (١٠٣٦-١١٢١م) في رباعياته ترجمة احمد رامي (١٨٩٢-١٩٧٨):

لبست ثوب العيش لم أستشر وحرت فيه بين شتى الفكر

وسوف أنضو الثوب عني...ولم أدرك لماذا جئت، أين المفر؟

وهنالك شعراء يهمهم تحقيق رغباتهم الحياتية اليوم فالمستقبل غير مأمون وغير مضمون.وفي هذا المعنى يقول الشاعر الإنجليزي لورانس هوب(١٨٦٥-١٩٠٤) في قصيدة عنوانها "اليوم والغد" ما ترجمته:

إن جاءني وفد القدر ...مُطالبَاً ومبتدرْ
يبغي ارتداد حقه – روحي – اعلموا ما من خطرْ
إلاّ ابتلاءٌ واحدٌ قدْ عمَّ قلبي بالحسرْ
فاليومُ ضَاعَ منكُمُ بالضّحكِ يا صحبي يسُرُّ
أمَّا غَداً فليسَ لِي في العالَم الآتي خبرْ
إلاّ دموعٌ ساجماتٌ فِي خُلُودٍ تنهمرْ

كذلك وفي نفس السياق يقول شاعر عربي أندلسي هو ابن زيدون:

واغتنِمْ صفوَ اللّيالي إنَّما العيشُ اختلاسُ

والشاعر الانجليزي (وليم شكسبير ١٥٦٦-١٦١٦م) في قصيدة له بعنوان مترجماً (اللذة اليوم):

مَا سوفَ يأتي ...إنَّهُ غيرُ مؤكَّدْ ليسَ في التَّأخِيرِ مِنْ زيدٍ وأزيَدْ

وكذلك الشاعر العربي السوداني المعاصر " الهادي آدم " يقول في قصيدته "أغداً ألقاك":

قدْ يكُونُ الغيبُ حلواً...إنمَّا الحاضرُ أحلَى

وفكرة طريفة عن الموت يأتي بها الشعراء الأعاجم دون الشعراء العرب وهذه الفكرة هي "موت الموت"أي أن الموت يموت. وفي هذا المعنى يتحدث الشاعر الانجليزي "جون ضن"(١٥٧٢-١٦٣١) في قصيدته "لا تفاخر أيها الموت" يقول فيها ما ترجمته:

لا تفاخرْ أيها الموتُ...رغم أنَّ بعضُهمْ يدعونكَ القويَّ والمهيبَ ...إلاَّ أنَّك لستَ كذلك...إنَّ من تعتقدُ أنَّك تُطيحُ بهمْ...لا يموتُون...أيُّها الموتُ الفقيرُ...كذلك إنَّك لنْ تستطيع قتلي...فمن الراحة والنوم...اللذين هما رسمكَ...ينهلُّ حبورٌ كبيرٌ...حينما يمضي معك خيرةُ رجالنا...خلاصٌ وراحةُ لعظامِهمْ وأرواحِهم...إنَّك – يا موتُ – عبد للقدر، للحظُوظ،

للملوك...وللرجـال المسـتميتين...إنك – يـا مـوت- تعـيشُ مـع السُّـمّ ...مـع الحربِ...ومـع المـرض...إنْ الخشـخاش والتَّعاويـذَ أيضـاًَ يَسـتطِيعَان أنْ يُنوّمانَا...وبشـكلٍ أفضـلَ مـن لمسـتكَ..فلماذا إذاً تتعجرفُ؟...انهـا لسـنةٌ[1] قصيرةٌ...ثمَّ نصحُو إلى الأبدِ...إذاك لنْ يكون هنالك موتٌ...أيها الموتُ...إنَّك سوف تموتُ!

كما ترد هذه الفكرة "موت الموت" في نهاية قصيدة للشاعر ألإنجليزي (وليم شكسبير ١٥٦٦-١٦١٦) عنوانها "الجسم والروح " يخاطب الروح قائلاً ما ترجمته:

لسـوفَ تأكـلُ الدّيـدان يوماً...حسـنكِ الجسـميَّ هـذا، وهـيَ الَّتـي سـوفَ ترث...مؤكـداً هـذا النزق...هـل ذي نهايـة لجسـمك الحـالي ذا؟ عيشـي إذاً واستمتِعي...فيما خُو يدمٌ لك يكونُ طبعاً قد خَسرَ، ثُمَّ دعيه يستزد تحنانـهُ فتكسـبين...إذ بعـتِ سـاعاتِ النّفايةِ...وشـريتِ منهـا قُدُسـاً... يـا روحُ فُـوزي بالهناءِ...دون أطماعٍ بأن تُصبحي ذات ثراءٍ...ظاهريٍّ ليس غيرَ... هكذا عِيشِي على نهبكِ الموتَ الّذي ...يتغذى بالرِّجالِ...وإذا ما الموتُ ماتَ...لنْ يكونَ منْ وفَاة .

ومثلما تفرد الشعراء الأعاجم بفكرة " موت الموت" دون نظرائهم من الشعراء العرب فقد تفردوا أيضاً في الكلام عن طبيعة الإنسان ككائن حي فهذا الشاعر الانجليزي "همبرت ولف (١٨٥٥-١٩٤٠) يتحدث في أبيات له عن الإنسان قائلاً:

هـــا هُنــا يثــوي بشـــرْ   كـانَ فـي ماضــيْ العُصُـر

بعــضَ قــردٍ لــم يــرقْ   فـــي الطبيعـــة النَّظَـــرْ

أتعبــــتْ مـــن شكلِـــهِ   فارتـــأتْ بعـــضَ الفكـــرْ

نفَّــــذتْهَا فغـــدَا الإنســـانُ حـــالَيَّ الصـــورْ

كذلك يقول الشاعر الانجليزي(ديفيد هيلبروك؟) في قصيدة له عنوانها: " أنـا والحيوانـات" إنـي بـأعظم الركـب...مني لآكلـة تـدب...فيها بعـوض قـد سعى...أضحى شريكا موجعا...أما مفاصلي بها...قارض يعضها...ومع الفأر العيـون...أو مــع الخفــاش...دون...ومع البــوم بغمز...أمـــا اعتســـال فـــي عيون...فالشريك فيه معز...

ويمضي الشاعر يقارن وبشكل ايجابي بينه وبين الحيوانات حتى يقول:

---

(١) سِنَةٌ أيْ النوم.

أهم فرق قد يرى ...بيني وبين ما جرى...ذكر له من كائنات...أني أعوز للحياة...ما قد حوت أجسامها.

أما وان الهرم سنة الحياة، فمن بعد الطفولة والشباب والكهولة تأتي الشيخوخة فيتغير الإنسان كلياً فتضعف قواه – وخاصة البدنية – وليس بالضرورة الذهنية.لكن نظرة المجتمعات للمسنين تتباين بين مجتمع وآخر، فعندنا نحن العرب والمسلمين من المعروف أن أبناء المسن يتعهدونه ويقومون برعايته، رغم أن هذا لا يحدث دائماً فهناك شيوخ مسنون ليس لهم أبناء يعينونهم، وحتى بعض أولئك الذين لهم أبناء فإن أبناءهم قد يتنكرون لوالديهم أو لواحد منهما. هؤلاء المسنون المهملون لدينا يعانون الأمرين في أواخر حياتهم قبل الوفاة. أما في بلاد الغرب فالمسنون يلاقون العون والدعم – إن لم يكن من أبنائهم – فمن السلطات.

وهكذا تختلف نظرة الشعراء إلى الهرم وما يكتنفه من أحوال ما بين شعرائنا العرب وبين شعراء الأمم الأخرى خاصة في المجتمعات المتطورة المتقدمة.

فهذا الشاعر الروسي (ياروسلاف سملياكوف ١٩٤٠) ترجمة يوجين فلجنهاور) يقول في قصيدته المعنونة "الشيوخ"ما ترجمته:

ليسوا بالمتسرعين جداً...غير أنهم ليسوا نوما ...إن هواياتهم الشابة كبتت منذ طويل...ومعهم عصي ...يبدو أنها تقرع غاضبة...ان الشيوخ يجابهون المستقبل...بهدوء...إن لهم أقاربهم...وجيرانهم اللطفاء...أنهم مطمئنون...فهم يعرفون كيف يقومون بواجبهم...وليس الوظيفة...إنهم ينشطون في الذهاب إلى أعمالهم...وهم قلما يضيعون الوقت الثمين في الترهات...إن سفاسف الأمور لا تعنيهم...رغم أنهم ظاهراً يرغبون في ذلك...إنهم أقوياء كالحديد...إن سراويلهم متكيسة نوعاً...أنهم – وإلى حد ما – متهاونون بالصرعات ...انهم متهدلون شيئاً ما ...إنما في هذا سحر خاص...فمنذ العهود القديمة...وإلى هذه الساعة...وكمداعبة أشعة شمس الشتاء الجميلة...فلكل حالة وكل طاقة محقة لديهم أشياء مقدسة الاعتبار...هنالك تتوقف كل حركة إلى الأمام...علينا أن ننحني لركبنا...إذا نحن حجبنا احترامنا لشيوخ مسنين أعزاء كهؤلاء.

من هذا الشعر نعلم أن هؤلاء المسنين ليسوا في حالة سيئة في ظل ما بينا وفصلنا أعلاه.هذا خلاف ما يحصل لدينا من إهمال بعض المسنين الضيع وفي ذلك أقول أنا – المؤلف – في قصيدة لي بعنوان "عليك الوفاة":

«عليك الوفاة»... نظمت في ٢٠/١٠/٢٠٠٤

إذا ما كبرت ولو بعض شي فأنت سدى، أنت عي عيي

ولــو كنــت ذا صــحة سالمـــاً   ومـــا بــك داء ولا مـــن دوي
ولـو كنـت مـا فيك مـن علــة   ولـو كنـت أنشط من أي حـي
ولـــو كنـــت ذا خبـــرة جمـــة   ولـو حـزت علمـا جلـيلا جلـي
وحتى ولو قد نصحت الشباب   وكنــت لهــم هاديــاً كضـــوي
ولـــو كنــت جلــداً ومستأنســاً   مـــن الله طـــول بقـــاء بهـــي
عليك القعـود، عليـك الجمـود   فــلا تتحــرك ولا مــن مشـــي
عليـك الوفـاة، عليـك الممـات   ولـيس مـن العـيش حقـك شـي
كــأن الممـــات بأيـــدي الأنـــاس   ولـــيس بأيـــدي القـــدير العلـــي

إلى جانب كل هذه المواقف المتباينة للشعراء إزاء الحياة والموت، هنالك شعراء نظـروا إلـى الحيـاة – بصـورة عامـة – نظـرة إجـلال وإكبـار فمـدحوها وعظموا شأنها ومن هؤلاء الشعراء – وهم كثر – أبو القاسم الشـابي الشـاعر العربي التونسي (١٩٠٩ – ١٩٣٤) حيث يقول في قصيدته "إرادة الحياة ":

هـــو الكـــون حـــي يحـــب الحيـــاة   ويحتقـــر الميـــت مهمـــا كبـــر
فــلا الأفـق يحضـن ميـت الطيـور   ولا النحـــل يلـــثم ميـــت الزهـــر
فويـــل لمـــن لـــم تشـــقه الحيـــاة   لـــــه لعنـــــة العـــــدم المنتصـــــر

إن هذا المعنى الأخير – تمجيد الحياة – يتجلى في قصيدة حديثة من شـعر الأخوين رحباني اللبنانين – وشدتها الفنانة فيروز الرحباني – وهي تقول:

لـــم لا أحيـــى وظـــل الـــورد يحيـــى فـــي الشـــفاه؟
ونشـــــيد البلبــــــلِ الشّـــــادِي عَلَـــــى ذَلِّ هَـــــوَاهْ
لـــم لا أحيـــى وفـــي قلبـــي وفـــي عينـــي ...الحيـــاهْ؟
ســـوف أحيـــى ...ســـوف أحيـــى
لـــــيس ســـــراً يـــــا رفيقـــــي أن أيـــــامي قليلـــــه
لـــــيس ســـــراً إنمـــــا الأيـــــام بسمـــــات جميلـــــه
إن أردت الســـر فاســـأل عنـــه أزهـــار الخميلـــه
عمرهـــا يـــوم وتحيـــى اليـــوم حتـــى منتهـــاه
ســـوف أحيـــى ...ســـوف أحيـــى

ومن الأشعار الانجليزية الجميلة التي تهتفت بجمال الحياة قصيدة للشاعر الإنجليزي (بن جونسون ١٥٢٦-١٦٣٧) تحت عنوان مترجماً " الحياة المتممة " حيث يقول – مترجماً -:

مـــا فـــي النمـــو كالشـــجر   حجمـــاً وجســـماً ذا كبـــر

نفـــــــع لنـــــــا نحـــــــن البشـــــــر

أو أن نظـــــل عائشـــــين   كـــذا مئـــات مـــن ســـنين

بلوطـــة مـــن بعـــد حـــين   تجتـــث، جفـــت لا تـــزين

* * *

لزهـــــرة مـــــن زنبـــــق   خيـــر بحســـن الرونـــق

تحيـــى ليـــوم لا تطيـــل   فـــي شـــهر أيـــار الجميـــل

ورغـــم أن قـــد تســـقط   مـــن بعـــد يـــوم تفـــرط

ميتةً... لكنها... فذةٌ في كونها

نبتـــة تهـــوى الضـــياء   زهـــرة النـــور الســـناء

* * *

إنـا نـرى الحسـن... الجمـال... بمقـاييس ضـئال

ولقـــد تغـــدو نضـــيره   ذي الحيـــاة ومنيـــره

بمقـــــاييس صـــــغيره

وفي معنى قريب من هذا يقول الشاعر الإغريقي "أوديسيوس اليتوس" – شاعر حديث- في قصيدته " نضج النهار" ما ترجمته: يتضح النهار...ويطل فـرح الربيع...ويلـوح الآسُ... ببيرقـه عبـر الهـواء...وينثر فـي الريـاح الأربعة...بذور النار الذهبية...محرراً جمال الأرض!

وأخيراً فهنالك من أبناء الحياة من تبتليهم الأيام بشدائدها فتحتويهم دائرة التعاسة والفقر والعوز – وهم كثر – وخاصة في المجتمعات المتخلفة والتي تدعى "النامية".هؤلاء المعدمون والذين هم أحياء أموات أو أموات في صورة أحياء كتب يذب عنهم وليلفت الأنظار إليهم كتاب عالميون مثل الروائي

الإنجليزي الشهير(تشارلز ديكنز١٨١٢-١٨٧٠) وهو الذي عرف عنه أنه خدم الفقراء في بريطانيا أكثر مما فعل مجلس الأمة البريطاني، وكذلك الشاعر والروائى الفرنسي(فكتور هيوغو١٨٠٢ – ١٨٨٥) في روايته " البؤساء".

هؤلاء التعساء المدقعو الفقر ونظراً لبؤسهم الشديد لربما يفكر بعضهم بالموت ومنهم من يقدم عليه يعفيهم من الشدائد التي يعيشون في ظلها.وفي هذا المعنى كتب شعراء مثل (بودلير الشاعر الفرنسي ١٨٢١-١٨٦٧) في قصيدته "موت الفقراء" يقول ما ترجمته:

إنه الموت فيغري...أواه!وكذاك هو يحيي...هو بغية الحياة...وهو الأمل الوحيد...إنه الترياق...إنه صرة الفقير...ووطنه الحقيقي...إنه الباب المفتوح...على السموات المجهولة!

وقريب من هذا قول "أبي القاسم الشابي – الشاعر العربي التونسي ١٩٠٩-١٩٣٤ " بقصيدته" إلى الموت ":

إلى الموت يا ابن الحياة التعيس ... ففي الموت صوت الحياة الرخيم

إلى الموت إن عذبتك الدهور ... ففي الموت قلب الدهور الرحيم

إلى الموت فالموت روح جميل ... يرفرف من فوق تلك الغيوم

إلى الموت إن حاصرتك الخطوب ... وسدت عليك سبيل السلام

ففي عالم الموت تنضو الحياة ... رداء الأسى وقناع الظلام

وتبدو كما خلقت غضة ... يفيض على وجهها الابتسام

الفصل الثاني

أشعار مقارنة في الطبيعة والبيئة

سبق أن وضحنا في الفصل الأول ما نقصد هذه الدراسات الشعرية المقارنه بمصطلحي"الطبيعة" و"البيئة" وهذا ما سوف نناقش في دراستنا للمقارنة بين اشعار (الشعراء الرجال) العرب وأشعار الشعراء الرجال غير العرب في هذين المجالين: الطبيعة والبيئة.

إذا نحن نظرنا إلى أشعار الطبيعة عامة: شعر العرب وشعر الأعاجم فسوف نلاحظ أن شعراء كل فريق يتحدثون عن خصائص الطبيعة التي يعيشون فيها ومن ثم الإختلاف. فالعرب عاشوا أول ما عاشوا – وما زال بعضهم – في البادية، فمن الطبيعي أن نجد شعراء عرب يتكلمون عن البادية على أن العرب إذ عاشوا في بيئة مغايرة... طبيعة غضة خضراء معطاء – الأندلس – فقد نظموا الأشعار في وصف مظاهر هذه الطبيعة السمحة من أنهار وأشجار وحدائق الخ.

ومثلما تحدث شعراء العرب عن موطنهم – البادية- تحدث أهل الغرب عن طبيعة بلادهم ذات المطر الدائم كما تحدثوا بإسهاب في أشعارهم عن مفاجآت الفصول لديهم، خاصة وبلادهم باردة شتاءاً دائمة المطر، يسقط فيها الثلج في الفصول الباردة ويحدث الصقيع.كل هذا ورد في أشعار لشعرائهم.

وعوداً إلى أشعار العرب فرغم عشق العرب للبادية وسكناهم فيها وعيشهم وتنقلهم قوافل فيها إلا اننا لا نجد قصائد متكاملة قيلت فيها بل أبياتاً شعرية تزيد أو تقل تتخلل قصائد للشعراء العرب تذكر البادية، علماً بأن أبياتاً كهذه كثيرة الورود في الشعر العربي خاصة القديمة منه، فهذا أبو الطيب المتنبي (٩١٥-٩٦٥م) يقول في قصيدة له في هجاء كافور:

أمـــا الأحبـــة فالبيـــداء دونهـــم فليـــت دونـــك بيـــداً دونهـــا بيـــد

وللشاعر الراعي:

وإذا ترقصـــت المفـــازة غـــادرت ربـــذاً يبغـــل[١] خلفهـــا تبغـــيلا

---

(١) تعني "سيراً نشطا"

ثم هذا أمير الشعراء (احمد شوقي ١٨٦٨-١٩٣) يقول على لسان ليلى تخاطب قيساً:

نبنـــي قـــيس مـــا الـــذي لـــك فـــي البيـــد مـــن وطـــر
لـــــك فيهـــا قصـــــائد جاوزتهـــا إلـــى الحضـــر
هـــل تـــرى قـــد ســـلوتنا وعشـــقت المهـــا الأخـــر؟

ومن الطريف أن نجد شاعراً انجليزياً- وفي حديثه عن حب عربي– يصف معالم في الصحراء ففي قصيدة له بعنوان "أغنية حب عربية" يقول الشاعر فرانسيس تومبسون (١٨٥٩-١٩٠٧) مترجماً:

تشـوب أسـراب الجمـال أنـــوار بـــدر يتـــلال
وإن طلـــــة الصـــــباح حـــالاً تهـــل كـــالملاح
تلـــم أنجـــم الســـماء تهـيم فيهـا فـي غنـاء
الآن والكــــل دجـــــي تعـــال يـــا حبـــي إلـــي
وغـــــادري مضاربـــــا لقومـــــك معازبـــــا
وأنـــت مـــا يلزمـــك مـــن قبـــاب قومـــك
ذات الســـــــــــواد الأحلـــــــــــك؟
أمـــا أنـــا لـــك الأبـــا والأم حَـــدباً حادِبـــا؟

فهذا الشاعر الإنجليزي يتكلم عن المعالم العربية في البيداء فيذكر الجِمال، ليل الصحراء وقمرها ونجومها والخيام السوداء الخ.

إن المتنبئ الذي طالما ذكر البوادي في أشعاره أجاد(أيما إجاده) حين وصف شعب بوان في بلاد فارس قي قصيدته التي مطلعها:

مغـاني الشـعب طيبـاً فـي المعـاني بمنزلـــة الربيـــع مـــن الزمـــان

ويقول فيها:

ملاعـــب جنـــة لـــو ســـار فيهـــا ســـــليمان لســـــار بترجمـــــان
وألقـــى فـــي ثيـــابي الشـــرق منهـــا دنـــانيراً تفـــر مـــن البنـــان

الى أن يقول:

يقـــول بشـــعب بـــوان حصانـــي أعـــن هـــذا يســـار إلـــى الطعـــان

أبـــوكم آدم ســـن المعاصــــي وعلمكــــم مفارقـــة الجنـــان

وإذا كان المتنبىء أبدع في وصف شعب بوان في المشرق فإن أبن خفاجه أبدع كذلك في وصف جبل في الغرب في بلاد الاندلس في قصيدة مطلعها:

لعمــرك لا أدري أهــوج الجنائــب تخـب برحلــي أم ظهـور النجائــب

ويبدأ بوصف الجبل:

وأرعـــن طمـــاح الذؤابـــة بـــاذخ يطـــاول أعنـــان الســـماء بغـــارب

يسـد مهـب الـريح مـن كـل وجهـة ويـــزحم لـــيلاً شـــهبه بالمناكـــب

يلــوث عليــه الغـيم ســود عمــائم لها من وميض البرق حمر ذوائب

ويمضي في وصف الجبل إلى أن يختتم القصيدة قائلاً:

فرحمــاك يــا مـولاي دعـوة ضــارع يمــد إلــى نعمــاك راحــة راغــب

ورغم أن قصيدتي المتنبى وابن خفاجة قيلتا في وصف الطبيعة: شعب وجبل ورغم أن كلا القصيدتين تعتبران أنموذجاً في شعر الوصف للطبيعة إلا أنهما اختلفتا في البيتين الأخيرين فيهما: فعلى حين اختتم المتنبي قصيدته بنقد بني الإنسان من ناحية دينية نجد أبن خفاجة يمد يديه لله طالباً الرحمة في آخر بيت في قصيدته.

وكما أسلفنا فالشعراء الأعاجم وخاصة الأوروبيين يتحدثون في اشعارهم عن الطبيعة – من ضمن ما يتحدثون – عن مظاهر المناخ لديهم فشتاؤهم بارد يتساقط فيه الثلوج بغزارة ويحدث الصقيع كثيراً، أما المطر فهو صيف شتاء، وهم ينظمون الشعر في كل هذه المظاهر الطبيعية.

ومن الأمثلة على ذلك قصيدة للشاعر الانجليزي (اللورد تينيسون) تحت عنوان ترجمته "فصل الشتاء" يقول فيها ما ترجمته:

الصقيع ها هنا...ووقود مالنا...والغاب هاقد جفا...والنار نور شفا...إن الصقيع عض عض...كعبا لعامنا المنقض...يا صقيع يا مهول...ومن النور تزول النحل والفأر سكن...وكل الحشرات كن... والذباب قد هلك، ...داخل البيت تدك ...إنما ليس بقلبي... شد يا صقيع عنف...قد غدا الغاب أجف...والوقود قل، خف...النار هبت أسطعا...أمعنت أنت مسرعاً... بجوف الأرض موقعا...أنما ليس بقلبي.

ومن قبيل تأثير المناخ في أشعارهم في أوروبا ولما كان المطر يتساقط عندهم طيلة العام، فتجد أن لدى بعضهم – على الأقل – ملاً من المطر كما نرى في القطعة الشعرية الآتية تحت عنوان ترجمته "أأغني؟"

للشاعر (ك.غرينوي؟) وهذه ترجمة للقصيدة:

تساءلت قُبرةٌ "يا صاح هل أغني؟"	وزهرة تساءلت "أأزدهي بلوني؟"
والشـــمس "هـــل لـــي أطلـــع	فـــوق الـــدنى واسطــــع؟
"...والغيـــث" هـــل أهمـــي	أنـــا لـــلأرض جـــدا أســـرع؟"
آه غَـــــرّدِي يـــــا قُبَّـــــرهْ	لحنــــاً حـــــلا مُصـــــقّرهْ
وزَهّـــــرِي يـــــا زهْـــــرَةُ	ففيـــــكِ زانــــــتْ نضــــرةُ
وأنـــت يـــا شـــمس اظهـــري	علـــــى المـــــلا ونـــــوري
أمــــا إلــــى هطـــل المطـــر	«أبعـــد، فأنـــت مـــن مكـــر !»

وبشكل مناظر لحديث الشعراء العرب عن الصحراء وحقول الرمال وكثبانها نجد أن شعراء الغرب وخاصة أوروبا يتحدثون في أشعارهم عن حقول الثلج وتكدساته. مثال على ذلك قصيدة للشاعر جيمس ستيفنس (ولد سنة١٨٨٢) بعنوان ترجمته "الحقول البيضاء" وهذي ترجمتها:

في فصل الشتاء نمضي..نسير في حقول الثلج، ...فلا حشائش مطلقا، وحيث قمة كل حائط..وكل حاجز ...وكل شجرة...أبيض ما يكون...وبالإشارة إلى الطرق التي جئنا منها، إلى كل منها بذاته...عبر الحقول كلها...طبع ووشي فضي ...وكل أمهاتنا يعرفن دوماً...من آثار أقدامنا في الثلج ...أين الأطفال يذهبون.

وإذا كان بعض الأوروبيين يملون هطول المطر المستمر شتاءاً – فصل البرد – فإن الشاعر الروسي"نيكولاي غريبا تشيف؟" يصف في قصيدته التالية "المطر صيفاً " فصل الدفء وترجمها إلى الانجليزية (توم بوتنج) وهذه ترجمتها إلى العربية:

طالما تتبع المطر الشفاف...خيوط النايلون الدقيقة...تلك التي ينسج بها ...قماشاً مزخرفاً...مجدلاً بذلك أوراق الشجر والأماليد...إن الحديقة الراقدة ...وهي الدافئة المترعرعة...تعب الماء بعمق ...وسرعان ما يبدو ...اخضرار جديد ...يمتد نشطا...وكأنما سحب من أذنيه...إن طاسات الخشخاش...تعج بالنحل ...وينحني البرسيم...وتتفتح زهرة اللؤلؤ...وهذا ولد...خلع قميصه... وشعره الأحمر يلمع...يهرول في الطريق...فهو أيضا يجب أن ينمو.

أما عن الشمس والقمر فيردان كثيراً في الأشعار العربية والأجنبية – وكما ذكرنا من قبل– فلدى الانجليز الشمس مذكر، والقمر يعامل معاملة

المؤنث. وبالنسبة للشعراء العرب فحديثهم عن القمر يتواتر أكثر مما هو عن الشمس، ثم أنهم لا يتحدثون عن القمر في حد ذاته بل لأغراض منها تشبيه جمال النساء اللواتي يحبونهن بجماله.أما الشعراء الأجانب فلا يعمدون إلى مثل هذا التشبيه، وإنما هم يتحدثون عن جمال القمر وحسب. وهذه بعض الأمثلة على ما ذكرنا:

فهناك شاعر عربي يتحدث عن صاحبته قائلاً من بيت له:

أريهـــا الســـها وتريني القمـــر

وشاعر عربي آخر يقول:

وعــد البــدر بالزيــارة لــيلاً فــإذا مــاوفى قضــيت نــذوري

والشاعر بشارة الخوري- مر ذكره – فله في قصيدة مطلعها:

أضــنيتني بــالهجر مــا أظلمــك فـارحم عسـى الـرحمن أن يرحمـك

يقول فيها ذاكراً القمر:

يــا بــدر إن واصــلتني بالجفــا ومـت فـي شـرخ الصـبا مغرمـك

قـل للـدجى مـات شـهيد الهـوى فــانثر علــى أكفانــه أنجمــك

أما الشاعر إيليا أبو ماضي – مر ذكره – فيوظف القمر لغرض فلسفي رمزاً للعدالة والمساواة بين أبناء البشر وللألفة بينهم فيقول في قصيدته التي مطلعها:

نســي الطــين ســاعة أنــه طـين حقيـر فصـال تيهـاً وعربـد

يقول فيها:

قمــر واحــد يطــل علينــا وعلــى الكــوخ والبنــاء الموطــد

أما الشمس فرغم أنها الأصل في الضوء بصورة عامة وفي ضوء القمر بخاصة، فإنها ليست كثيرة الورود والذكر في الشعر العربي بعكس ما ذكرنا عن القمر. وأذكر مثالاً واحداً على ذلك حيث يقول شاعر عربي:

قامــت تظللنــي مــن الشــمس نفــس أعــز علــي مــن نفســي

قامـت تظللنـي – ومـن عجـب- شــمس تظللنــي مــن الشــمس

وفيما يتعلق بشعر الأجانب عن الشمس والقمر فمع أنهم يذكرونهما في أشعارهم بتكرار ليس قليلاً، إلا أنهم – كما ذكرنا – لا يزجون بالقمر في

شؤون الحب فهذا الشاعر بن جونسون(١٥٧٢-١٣٦٧)- انجليزي- يكتب قصيدة للقمر بعنوان "ترنيمة إلى دايانا"[١]

وهذه ترجمة لبعض ما ورد فيها:

إيه يا مليكةٌ..أنت يا صيَّادةٌ ..قد تربَّعت على...عرشٍ مفضَّضٍ لك، ...تيهي وزيدي...في الشُّمُوخِ...إذ أراكِ اعتدتهِ...بينما راحت حنَاذ[٢]...للمبيتِ ناعسّة...

ومنها: ألقي دايانا قوسك...ذا اللؤلؤي جانبا...وكذا جعبتك...وهي كالبلور تلمع... ودعي ذاك الغزال طائراً... ثم امنحيه فرصة كي يتنفس...واجعلي الليل نهاراً ... يا إلهة تضيء.

والقصيدة التالية عن القمر دليل آخر على عدم اعتماد القمر لتشبيه الحبيب به لدى شعراء الأعاجم خاصة الأوروبيين. هذه القصيدة للشاعر الانجليزي الرومانسي الكبير" بيرسي بش شلي" ١٧٩٢-١٨٨٢ تحت عنوان "الى القمر" يقول فيها ما ترجمته:

مالي أراك يا قمرْ... ذويْتَ شَاحباً، أقرٌّ
هل أنت منهكُ القُوى من المسير المستمرٌّ
عبر السَّماءِ بينما نحو الدُّنى تُلقي النَّظرْ؟
تمضي بها ولا رفيقٌ أو صديقٌ في السفرْ
في حالةٍ منك التَّغيرٌ ليس ينهيه العُمُرْ
كالعين لا ترَى جميلاً لا يملّهُ النَّظرْ
فهي شتَّى الالتفاتاتِ وحيرى لا تقِرْ
أو كالعجوزِ في الشّحوب والنّحول والخورْ
دون الوفاة وانبرت تمشي بخطوها العثرْ
تحجَّبت لمَّا مضت من بيتها بلا وطر
وإنما يقتادها عشواء هاجسُ الفكرْ
قد اعتلى في المشرقِ المربدّ ينداحُ القمر
كبضعةٍ بيضاء ما شكلٌ بها بادي الصُّورْ

ونجيء الآن إلى البحار كظاهرة طبيعية تعرض لها الشعراء في أشعارهم. فبالنسبة للعرب ورغم أنهم جابوا البحار منذ عهود مغرقة في القدم شرقاً وغرباً خاصة في تجارتهم إلا انهم لم يدونوا ذلك في أشعارهم. فقليلة نسبياً هي

---

(١) "دايانا" أسم لالهة القمر عند قدماء الإيطاليين.

(٢) حناذ تعني "الشمس".

الأشعار العربية في البحار إلا ما ذكر في أبيات متفرقة قي قصائد متباينة.ومن ذلك قول شاعر عربي يفخر بقومه:

ملأنـــا البــر حتـــى ضـــاق عنـــا ومـــاء البحـــر نملـــؤه ســـفينا

وبالإضافة إلى الأغراض التي توخاها العرب من البحر كالتجارة والصيد فإن الغربيين ومنهم أهل أوروبا استهدفوا البحر لأغراض إضافية كالكشوف الجغرافية والاستجمام وللمواصلات. وقد كتبوا الكثير من الأشعار في البحر. فالشاعر الأسكتلندي (روبرت لويس ستيفنسون ١٨٥٠-١٨٩٤) كتب قصيدة عنوانها مترجماً "من الأرض إلى السماء" يقول فيها ما ترجمته:

هلاَّ شدوتم أغنية...ليافعٍ أضحى هرم...ثمَّ قولوا: "واندم!"...هل ذلكم كان أنا؟...إنَّه يوماً مضى... مبحِراً عبر الفضا... من مياهٍ لسما!...قد كان في سفينتي ...خَمرٌ وفيضٌ من عسل...شرخُ الشَّباب المكتمل...في الروح منّي قد أهلَّ ...العزُّ ذاك أينهُ... مني أخيراً...هل أفل؟...هيَّا أعيدوا كلَّ ما...كان هناك منعما... الشَّمس تلكَ السَّاطعة... وأعيناً لي لامعه... والرُّوح منّي الرَّاتعه...كل ذا رُدُّوهُ لي ..ثم رُدُّوْا ليْ الفتى...ذاك الذي ولَّى...نأى...ثم النَّسيمَ والعُباب ... والبحارَ إذ تجاب...وما لديها من جزُر... والشمس تلك والمطر...إذ كل ما كان يطيب...إذ كل ما كان حسن...قد كان ذاتي واحزن!... ولى كحلم في وسن.

ومن الأشعار الكثيرة عن البحر لدى الأعاجم قصيدة في صلب الموضوع عنوانها "كولمبوس" للشاعر (جاكوين ميلر١٨٤١ – ١٩١٣) هذه ترجمة لبعض ما ورد فيها:

من ورائه ترامت جزر الآزور الرَّمادية، ...من خلف بوابَّات هرقل، ...أما أمامه فما من أثرٍ لأيّ شاطىءٍ، ...وما أمامهُ إلا بحارٌ دون شواطىء...قال المرافق الطيِّب:

"علينـا الآن أن نصـلّي، يـالله!...لقد غـارت النجـوم تمامـا، ...أيهـا الأميـر الشجاع... تكلم... ماذا سوف أقول؟" فيم القول، ... واصل الإبحار! واصل!"

"إن رجالي بدأوا يتململون... يوماً فيوماً...لقد غدوا متعبين...منهكين... شاحبين "وفكر الرفيق الحازم في الوطن، وغسل رذاذ الامواج المالح وجنته المسمرة، ... "ما الذي سوف أقول...أيها الأميرُ الشجاعُ... قل لـي... إن كنـا لا نبصـر شـيئاً سـوى بحـارٍ فـي كـلّ فجـرٍ؟" "فيم... بـل قـلْ عنـد انـبلاج النَّهـار، ...أبحر...وتابع الإبحار...تابع! "ويأتي ختام القصيدة على النحو الآتـي: ثم ذرع سطح السفينة شاحباً متعباً، وتطلَّع عبر الظَّلام... يا لها ...إنها ليلةٌ ككلّ اللَّيالي ...حالكةٌ! ثم فجأةً...إنَّها لطخةُ نورٍ! نورٍ! نور!لقد حال راية نجمٍ قد نشرتْ...

لقد حان انفجارُ الزَّمن....لقد اكتسب عالماً...إنَّه لقَّن ذلك العالم درسهُ الأكبر: "إلى الأمام ! تابع الإبحار!".

إنها قصيدة بحرية عظيمة تعلمنا الصبر ورباطة الجأش وتحدي الصعاب والتغلب عليها.

أما أنا – المؤلف – فلي أكثر من قصيدة نظمتها على شواطىء البحر الأبيض المتوسط في ليبيا – وكما قلت فالأشعار العربية في البحار وعن البحار محدودة.

وهذه قصيدة لي عنوانها "على شاطىء البحر" في ليبيا (نظمت في ١٩٩٣/١٠/١٢) أقول فيها:

أمـــواج نُـــورٍ تتـــالى	مـــن تحـــت مـــاءٍ تـــلالا
قـــد رقَّ مجـــرىً وســـمكاً	فـــي الشّـــطِّ حـــين تـــوالى
فصـــــار ذوب لجـــــينٍ	جـــرى لديــــه وســـالا
فـــي عرضـــهِ واطّـــراداً	امواجُــــــهُ تتعـــــالى
والـــرّيحُ تعبـــث فيـــه	تزيـــــده انفعــــالا
يمضـــي ســـريعاً لبـــرٍّ	يشُـــنُّ فيـــه قتـــالا
حتـــى تلـــين صـــخورٌ	أوشـــكن منــــه زوالا
والطّيـــر ذي ماضـــياتٌ	فـــي جـــوّهنَّ عُجـــالى
طـــوراً يطـــرن جنوبـــاً	وبعـــــد ذاك شـــــمالا
إذا أطلــــت الجلــــوسَ	ترنـــو تـــرى الجمـــالا
وإن تلفَّــــــتَّ حينـــــاً	لتستشــــفَّ المجـــالا
أحسســـت أنَّ المكـــان	تفـــاجُؤاً بـــك مـــالا

والأنهار كذلك مظهر طبيعي جميل – في الحالات العادية – يبعث على الاستئناس بالطبيعة والاستمتاع بمنظر النهر يجري ماؤه عذباً رقراقاً فيلهم الشعراء النظم فيه.

لكن الأمر مختلف الآن ما بين الشرق والغرب في هذا الخصوص...لم يعد هناك أنهر في الغرب تغري الشعراء بالتحدث عنها...وذلك أن الصناعة عندهم لوثت الأنهر وجعلتها مكباً ومصرفا للمخلفات السائلة الملوثة. وبالتالي فبدلاً من

أن يجذب النهر الشاعر إليه فهو الآن في أوروبا ينفره. لهذا لا نجد شعراً ذا أهمية أو قصائد متكاملة تتحدث عن الأنهر عندهم. بل نجد أبياتاً منفردة تتضمنها قصائد ذات مواضيع بعيدة عن الأنهر كموضوع رئيسي. مثال ذلك بيت الشعر التالي الذي يقوله الشاعر (جورج ليتلتن ١٧٠٩-١٧٧٣)[١] في حديثه عن سيدة جميلة وهو مطلع القصيدة يخاطب فيه نهر (التيمز) الذي يعبر مدينة لندن فيقول:

سـل واجـر تمـز بلّـغ المـدينتا　　تلـك الّتـي تجلّبـت مشـغُولتا

وبيت شعر آخر للشاعرة الروسية (آنا أخما توفا) في قصيدتها السابقة الذكر والمعنونة "الحديقة الصيفية"ففي هذه القصيدة تذكر الشاعرة تماثيل في الحديقة يحيط بها نهر نيفا الذي يعبر مدينة لينينغراد. وبيت الشعر هذا يقول ما ترجمته:

أرى اليوم هذه التماثيل ...كما شاهدتها من قبل ...يحيط بها نهر نيفا ...ثائراً ورماديا[٢].

أما لدينا في الوطن العربي فللأ نهر أهمية قصوى اذا أن أهم هذه الأنهر تعبر صحارى فتمارس دورها الطبيعي في إعمار هذه الأراضي مما يخلق أراضي زراعية دائمة الاخضرار بما فيها من مزروعات من أشجار وغيرها فتتشكل المروج الخضراء والحدائق والبساتين الغناء ...أضف إلى ذلك أن أنهارنا الكبرى – النيل، دجلة، الفرات، العاصي، ...الخ – وحتى الآن – هي أنهر غير ملوثة وبالتالي تشكل هذه الأنهر وأوديتها المزدهرة بؤرة جذب للشعراء فتلهمهم وتعمل قرائحهم في نظم الشعر. ان لأمير الشعراء (احمد شوقي) أشعاراً رائعة عن نهر النيل وأهميته لأهل البلاد حتى بلغ درجة القدسية والعبادة أيام مصر الفرعونية. فهو يقول في مطلع قصيدة مطولة عن نهر النيل:

مـن أيّ عهـدٍ فـي القـرى تتـدفَّقُ　　وبـأيِّ كـفٍّ فـي المـدائنِ تغـدقُ

ومنها:

ومـن السَّـماء نزلـت أم فُجّـرتَ　　مـن عليـا الجنـانِ جـداولاً تترقـرقُ

ثم يشير الى أن النيل كان مقدساً لدى قدماء المصريين:

ديـن الأوائـلِ فيـك ديـنُ مـروءةٍ　　لـم لا يؤلّـهُ مـن يقـوتُ ويـرزقُ

---

(١) يلاحظ أن هذه القصيدة قيلت قبل أكثر من ٢٠٠ سنة فلا بد أن وضع النهر كان إذاك أفضل مما هو عليه اليوم.

(٢) كون النهر رمادي اللون يشير إلى التلوث الذي أشرنا إليه.

وقصيدة أخرى للشاعر الأندلسي (شاعر الطبيعة) ابن خفاجة (١٠٥٨-١١٣٨م) تثبت اهتمام شعرائنا بالأنهر وبالحديث عن جمالها، فها هو يصف نهراً فيقول قصيدة منها:

لله نهـــرٌ ســـال فـــي بطحـــاءِ أشـــهى وروداً مـــن لمـــى الحســـناءِ

متعـــرّجٌ مثـــلُ السُّـــوار كأنَّـــهُ والزَّهـــرُ يكنُفـــهُ مجـــرٌّ ســـماءِ

قـــد رقَّ حتـــى ظـــنَّ قرصـــاً مفرغاً من فضَّةٍ في لجَّةٍ خضراءِ

وقد مر من قبل في الفصل الأول وصف الشاعرة حمدة بنت زياد المؤدب لنهر في قصيدة لها. وإذا نحن التفتنا إلى عالم الحيوان الذي هو جزء رئيسي في الطبيعة لوجدنا أن هنالك حيوانات ومنها الطيور يكتب عنها ويذكرها كل الشعراء في المشرق والمغرب من مثل: الذئب، الثعلب، الأفعى، الدب، الأسد، النمر...الخ، ومن الطيور: الغراب، البوم، النسر والطيور المغردة والحمام واليمام والقبرة...الخ.

ان الحيوان – بما فيه الطيور – شريك الإنسان في الحياة على سطح الأرض. ولقد دجن الإنسان بعض الحيوانات، وبعضها الآخر ما زال وحشياً برياً. ولقد جاء الشعراء عرباً وغير عرب بأشعار كثيرة في الصنفين من الحيوانات: الداجنة والبرية. ومن الحيوانات الداجنة التي قال العرب فيها أشعاراً الإبل أولاً والخيل ثانياً. ويأتي بعد ذلك حيوانات أخرى. هنالك شعراء قالوا شعراً و أكثروا في حيوان معين فنسب الشاعر إلى هذا الحيوان مثل الشاعر زيد الخيل الذي لقب بذلك لكثرة ما كان عنده من خيل ولكثرة شعره الذي قال فيها. وهذا الشعر هو الذي غير الرسول (ﷺ) لقبه فسماه " زيد الخير".

وهناك الشعر الذي لقب بالراعي لكثرة ما تحدث عن الإبل في شعره. أما على جانب الشعراء الأعاجم فليس فيهم شاعر زاد في القول على حيوان معين ولم ينسب أي منهم لإسم أي من الحيوانات.

ولقد جادت قرائح الشعراء العرب بما يزيد كثيراً عن نتاج الشعراء الغربيين في الكلام عن الخيل والابل. وبعض الأمثلة فلعنترة العبسي أشعار في حصانه منها:

حصـــــاني كـــان دلاَّل المنايـــا فخـــاض غمارهـــا وشـــرى وباعـــا

ولا مرىء القيس:

وقـد أغتـدِي والطّيـرُ فـي وُكناتهـا بمنجـــردٍ قيـــد الأوابـــد هيكـــل

مكـــر مفـــرٍّ مقبـــلٍ مـــدبرٍ معـــاً كجلمود صخرٍ حطّه السَّيل من عل

وللمتنبي:

مفرشـــــي صـــــهوةُ الحصـــــان ولكنَّ قميصـي مسرودةٌ مـن حديـد

وله:

الخيــلُ والليــلُ والبيــداءُ تعرفنـــي والسيفُ والتُّرس والقرطـاسُ والقلم

وهذا غيض من فيض

أما عن الإبل فهذا الأعشى (توفي ٦٢٩ م/٧ هـ) يقول:

فـدى لبنـي ذهـل بـن شـيبان نـاقتي وراكبهـــا يـــوم اللقـــاء وقلّـــت

وللمعري (٩٧٣-١٠٥٧م):

يـا روَّع الله سـوطي كـم أروعُ بـه فـؤاد وجنـاء مثـل الطـائر الحـذر!

وللمتنبي:

لـولا العـلا لـم تجـب مـا أجـوبُ بهـا وجنـاء حـرف ولا جَـرْداءُ قيـدُودُ

وأما عن الحيوانات الأخرى:

فلزبيد الطـائي – فـي عهـد عثمـان بـن عفـان رضـى الله عنـه – يقـول عـن أسد:

عبـوسٌ، شـموسٌ مصـلخدٌّ مكـابرٌ جريءٌ على الأقرانِ للقرن قـاهرُ[١]

منيـعٌ ويحمـي كـلَّ وادٍ يرومُـــهُ شـديدُ أصـولِ الماضـغين مكابــرُ

بـراثن شُـثنٌ[٢] وعينـاه فـي الدجـى كجمر الغضا في وجهه الشر ظـاهر

يــــدل بأنيـــاب حــــداد كأنهـــا إذا قلّـص الأشـداق عنهـا خنـاجر

وللمتنبي (مر ذكره) في وصف الأسد: أبيات مختارة:

ورد إذا ورد البحيـــرة شاربـــاً ورد الفـــرات زئيـــره والنـــيلا[٣]

مــــا قوبلـــت عينـــاه إلا ظنتـــا تحـت الـدجى نـار الفريـق حلـولا

يطـأ الثـرى مترفقـاً مـن تيهـه فكأنـــــه آس يجــــسُّ عليـــــلا

---

(١) مصلخد تعني القائم تيهاً.

(٢) صدر البيت مكسور.

(٣) البحيرة هنا هي بحيرة طبريا شمال شرق فلسطين.

قصــرت مخافتــه الخطــى فكأنمــا   ركــب الكمـــيَّ جـــواده مشـــكولا
ويـــدق بالصــــدر الحجـــار كأنــــه   يبغـي إلـى مـا فـي الحضـيض سـبيلا

في القطعتين ضروب من البلاغة مع بعض الإختلاف ففي البيت الأول لِزَبيد جناس ناقص في كلمتي عبوس وشموس.وفيها كنايات (يحمى كل واد يرومه) تشير الى شجاعة الأسد. وفي البيت الأخير كناية عن حدة أنيابه. وتشبيه مرسل عيناه كجمر الغضا.

أما أبيات المتنبي فمليئة بالكنايات (ورد الفرات...) كناية عن شدة زئير الاسد، (ما قوبلت...) كناية عن شدة لمعان وبريق أعينه، (قصرت مخافته...) كناية عن خوف الفارس من الأسد...الخ (فكأنه آس) تشبيه مرسل.

ومن ناحية أخرى فكاني بأبي الطيب استعار من زبيد فكرة الحديث عن عيني الأسد وتشبيهها بالنار. وكذلك قول المتنبي:

إذا رأيــت نُيُــوب اللّيــث بــارزةً   فـــلا تظـــنَّنَّ أنَّ الليـــثَ يبتســـمُ

يبدو وكانه مأخوذ من بيت زبيد الأخير (يدل بانياب حداد ...الخ).

أما الشعراء الأعاجم فنظمهم الشعر في الحيوان الداجن قليل ومن هذا القليل ذكرهم الخيل. فهذا الشاعر(آدم لندسي غوردون؟) يقول في مقطوعة شعرية له بعنوان "قومنا والطِراد" ما ترجمته:

إذا ما انتهت أفراحُ الطِّرادِ...في أرضنا ...ومسح الخيلُ الأصيلُ ...فقل على الجنس الأنجلوساكسوني السَّلام...وعلى الدَّم النُّور ماني ...السَّلامُ!

وعموماً فقد كتب الشعراء الأعاجم قصائد متكاملة في الحيوان الوحشي (البري) أكثر مما كتب الشعراء العرب.

ونختتم هذه الأمثلة في الشعر المقارن عن الطبيعة بقصيدة للشاعر الأمريكي ولتروتمان (١٨١٩-١٨٩٢م) وهي تنحو منحى قصيدة ديفيد هيلبروك المذكورة سالفاً في باب (الحياة والموت) والتي يقارن فيها الشاعر بين نفسه وبين الحيوانات. أما قصيدتنا الحالية للشاعر وتمان الأمريكي فهي بعنوان "الحيوانات" ويتضح من نصها أن الشاعر ينحو منحى الفيلسوف الاغريقي السَّاخِرِ (ديوجين الكلبي ٤١٣-٣٢٧ ق.م) في احتقار الغنى والتقاليد والناس. وهذه ترجمة لما جاء فيها:

أعتقد أنني يمكنني أن أعيش ....مع الحيوانات
أنها هادئةٌ ومطمئنَّة
إني أقف وأنظر إليها طويلاً...طويلاً
إنها لا تأرقُ ولا تزعقُ لأحوالها،
أنها لا تقلقُ ليلاً فتندبُ ...أخطاءها

انها لا تسقمني وهي تناقش واجباتها لله
لا أحد منها غير قانع،
ولا أحد منها به جنونٌ من هوس تملُّك الأشياء
لا أحد منها يركع للآخر
ولا لأيٍّ من نوعها عاش قبل آلاف السِّنين
ما من أحدٍ يستحق الاحترام؛ وما من مجتهد في كل أنحاءِ الأرضِ.

إلا أن معظم الشعر الإنجليزي الموجه للحيوانات الداجنة (بخلاف الشعر العربي) إنما هو أشعار للأطفال والأمثلة على ذلك كثيرة جداً وهذا واحد منها: قطعة شعرية بعنوان "البقرة" للشاعر (جين تيلر؟) وهذه ترجمة لها:

شكراً لك أيتها البقرة اللطيفة ...أنت يامن أعطيتني الحليب اللذيذ...أغمس به خبزتي..فهو كلَّ يومٍ...وكل ليلةٍ...دافىءٌ ...طازجٌ...حلوٌ وأبيضُ...أيتها البقرة الظريفةُ ... لا تمضَغي نبات الشوكران...الكريه الطّعم...هذا الذي ينمو في الضفة المعشوشبة...لكن كلي نبات الأقحوان...أنه عذب الطَّعم...وحيثما تنمو البنفسجة الأرجوانيَّةُ...وحيثما ينساب الماء وله خريرٌ...وحيثما العشبُ غضٌّ ونديٌّ...تجولّي أيتها البقرة اللطيفة.

إن للعرب علاقة وشيجة بالطيور منذ القدم. وقد عرفت عادة التطير عند العرب منذ أيام الجاهلية، فإن طار طائر الصباح عن يمين الساري كان مبعث تفاؤل، وإن طار عن يساره كان نذير شؤم. وفي هذا المعنى يقول الشاعر العربي (المقنع الكندي توفي ٧٠ هـ /٦٩٠م) في قصيدته التي مطلعها:

يُعاتبني في الدَّين قومي وإنَّما ... ديوني في أشياء تكسبهم حمدا

إلى أن يقول:

وإن زجروا طيراً بنحسٍ تمُرُّ بي ... زجرت لهم طيراً تمُرُّ بهم سعدا

وعموماً هنالك بعض الفوارق في معالجة موضوع بعض الطيور بين شعرائنا من ناحية والشعراء الأعاجم – وخاصة الانجليز – من ناحية أخرى .فعلى سبيل المثال بينما نتشاءم نحن من طائر البوم ونعيبه يعتبره الغربيون مثالاً للحكمة لهدوئه الكبير وإدامته النظر فكأنه حكيم يمعن في التفكير في الأمور، وكذلك الأمر بالنسبة للغراب.

من الشعراء العرب الذين تكلموا عن البوم في أشعارهم علقمة الفحل فهو يقول عن سيره في الصحراء الشاسعة:

بمثلها تقطع الموماة من عرضٍ ... إذا تبغَّم في ظلمائها البومُ

حتى أن العرب تخيلوا طائراً خفياً يظل مرافقاً لروح القتيل ويصيح حتى يثأر له وهو (الهامة):

يـا عمـرو إن لـم تـدع شـتمي ومرحمتـي   أضربكَ حتى تقول الهامة اسقوني

وللبيد:

ولقـد قطعـتُ وصـيلةً مجـرودةً   يبكـي الصدى[1] فيها لشجو البومِ

ولعبيد بن الفرى السلامي:

وداويـةٍ لا يـأمن الركـب جوزهـا   بها صارخاتُ الهام والبومُ يهتفُ

إن كل هذا يشير إلى مدى تشاؤم العرب من البوم وصوتها.

وكذلك الأمر بالنسبة للغراب وهذه بعض الأمثلة:

للنابغة الذبياني:

زعـم البـوارحُ أنَّ رحلتنـا غـداً   وبـذاك خبَّرنـا الغـرابُ الأسـودُ

ولعنترة العبسي:

ظعـن الـذين فـراقهم أتوقـعُ   وجـرى ببيـنهم الغـراب الأ بقـعُ

وعلى النقيض من كل ذلك فالغربيون لا يتشاءمون بالطيور بما فيها البوم والغراب بل هم يعتبرون البوم رمز الحكمة كما عللنا سابقاً. وهذا الشاعر (ادوارد هنري رتشارد؟) ينظم أبياتا عن البوم تحت عنوان ترجمته " البوم الهرم الحكيم "يقول:

حطّ بومٌ هرمٌ حكيمٌ على بلُوطةٍ...وكلَّما رأى المزيد قلَّ كلامهُ...وكلَّما قلَّ كلامهُ...زاد ما يسمعُ، ... لماذا لا نكون نحن... مثل هذا الطائر الهرمِ الحكيم؟

وذكر البوم كطائر حكيم كثير الحدوث في الشعر الانجليزي وخاصة أدب الأطفال كذلك الغراب فهو ليس مبعث تشاؤم لدى الأوروبيين فهذا الشاعر (روبرت فروست ١٨٧٤-١٩٦٣) يكتب في قصيدة تحت عنوان ترجمته "غبار ثلج" يقول فيها:

أنّـى تسـقَّطَ الغـراب   ثلجـاً علـيَّ فـي اقتـرابْ

مـن دوحـة فـي وسـط غـاب

سـاقَ السُّـرور للفـؤاد   إذ حـطّ فيـه وهـورادٌ

---

(١) الصدى هو ذكر البوم.

فهذا الشاعر الإنجليزي تفاءل حينما أسقط عليه الغراب رقائق ثلج من على شجرة في غاب.لقد وصف الشعراء العرب الطبيعة من جبال وأنهر وحدائق وحيوان...الخ فأجادوا لكن إذا تطرقنا لأهمية البيئة والحفاظ عليها فلا نجد شعراً عربياً في ذلك. أما شعراء الأعاجم فقد اهتموا بذلك ودعوا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى الرفق بالبيئة بكل ما فيها من أحياء، حيوان، شجر، أنهر...الخ ونادوا بضرورة المحافظة عليها حتى تظل الطبيعة جذابة للإنسان يفيء إليها ويفيد منها بشكل مدروس ومنظم. ويظهر ذلك في الأمثلة الآتية:

لقد كتب الشاعر (لورانس سيل؟) قصيدة عنوانها مترجماً (شجرة الورد المتسلق) وهذا شيء منها مترجماً:

تمضي الأسابيع تميل...والهواء في الأصيل...ثم التَّفتُّح الجميل...فيها معينٌ من بهاء...ينصبُّ ورداً من علاء...

ثم أخيراً يجيء الشاعر إلى مربط الفرس فيقول ... وأنت يا حبيبتي...تدرين بالحقيقة...تلك الَّتي تملي عليَّ ... لا تُؤذه قصَّاوليّ...بل أترك الورد الظَّريف ...ينمو كما يهوى وريفْ.

ومثال ثان أبيات تنتقد صيد الطيور وهي جزء من البيئة التي يتوجب المحافظة عليها.هذه الأبيات للشاعر(كريستوفر بلنغ ولد سنة ١٩٢٦) وعنوانها "الجزاء" يقول فيها:

اصـــطاد والـــدي الهـــزار   فهـــلَّ شـــرٌّ مستطـــار
إذ والـــدي أضـــحى وصـــار   رهـــن الوفـــاة والبـــوار
كانـــت لـــه خنزيـــرةٌ حبلـــى   فخلّفت لنا ... سبعاً تولاها الفنا
وإخـــــوتي أتـــــتهمُ   حُمَّـــى وقـــد أضـــنتهمُ

والمثال الأخير أبيات من قصيدة للشاعر (إدموند بلندن ولد ١٨٩٦ بريطاني) بعنوان "تقرير عن الخبرة" يتحدث فيها الشاعر عن خروقات الإنسان للطبيعة وتدميره للبيئة.يقول ما ترجمته:

شاهدت قبل سمات الرّيفِ مخضرًّا   فكـان للنَّـاسِ معطـاءاً نـدى بـرًّا
أودى بـه النَّـاس بالبـارودِ من عبـثِ   كمـا اختفـين قـراه دون مكتـرثِ
لم يسلمِ الفأرُ والطّيرُ الذي انقرضا   يـا ربُّ سـامح، فسوءاً كلّنـا قرضَـا

الفصل الثالث

دراسة مقارنة لأشعار نظمت

في الشعر والشعراء

اتصف الشعر بالأهمية لدى الناس في أوقات مبكرة من التاريخ فظهر شعراء في بلاد الإغريق مئات من السنوات قبل الميلاد ومن هؤلاء الشعراء الشاعرة (سافو) التي ناقشنا بعض أشعارها في الفصل الأول بالإضافة إلى من عاصرها من الشعراء الإغريق.

وكان للشعر أهميته الخاصة عند العرب منذ أيام الجاهلية إذ كان الشاعر لسان حال قبيلته يعتز بها ويفخر بها ويعلي من شأنها. من هنا كان للشاعر اعتباره ومنزلته عند العرب واستمرت هذه الأهمية للشعراء في العهد الإسلامي وما يليه. فالنبي(ﷺ) قال: "إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة." كما كان له شاعره وهو (حسان بن ثابت). أما حديثاً فقد تحول دور الشاعر إلى معبر عن تطلعات مجتمعة في بلده وكأنه مرآة يعكس هموم أمته والتحديات التي تعترض سبيلها نحو الرقي. وقد يرقي الشعر إلى مستوى العالمية ليعبر عن آمال الإنسانية وأحلامها المستقبلية فهذا الشاعر الانجليزي المفلق شلي (مر سابقاً) يقول عن الشعر والشعراء ما ترجمته" الشعراء هم مشرعو العالم غير المعترف بهم. "وكذلك (يدلي الشاعر جيمس فنتون، ولد ١٩٤٩) برأيه في الشعر فيقول في أبياته له:

يـــأتي فُحـــولُ الشّـــعراءْ   مــنْ معــدنٍ فيــه مضــاءْ

أصـــواتهُمْ عنـــد المقـــالْ   عميقـــةٌ فيهـــا جـــلالْ

فيهــــا الأوامــــرُ العجــــالْ

ويتمشى هذا الشعر في معناه مع قول الشاعر شلي المذكور أعلاه في الشعر.

وكذلك للمفضل الضبي (توفي ٧٨٠م) أبيات تتحدث عن الشعر يقول فيها

لــو لــم يكــن فــي الشــعر إلا أنــه   فــي مــدح وصــل أو هجــاء فــراق

أو نعـــت نـــدمان يظـــل بمجلـــس   لا بـــالملول لـــــه ولا المــــذاق

أو وصف وجه من حبيب لم يزل	أبداً يفوق الشمس بالإشراق
وكفاك أن الشعر فيه غرائب	ما أن تزال قلائد الأعناق
وبه يعزى كل يوم تفرق	وبه يهنأ كل يوم تلاقي
أو ما علمت بأن فيه محاسناً	أنس الوحيد وراحة المشتاق
وبلاغة تجلو العقول وحكمة	ما أن تزال تسير في الآفاق

وبصورة عامة يبدو أن الشعراء وعلى مستوى العالم لحق بهم غبن كبير؛ إن أدنى ألوان الفنون يلقى تعزيزاً وتكريماً لا تلقى شيئاً منه جموع الشعراء. وفي هذا الظلم الواقع على الشعراء قيلت قصائد جمة من قبل شعراء من أكثر من بلدان العالم فهذه الشاعرة ماريا نيفالي- إغريقية حديثة- كتبت قصيدة بعنوان "الشعراء":

ما عساني أن أقول لكم.... يا أعزائي الشعراء؟... فمنذ سنين وأنتمْ تشخصون الأرواح التي لا تقهر... ولسنين توقعتم ما لم أتوقع... وأنتم وقوف صفوف كأشياء لا لزوم لها... فإن دعوكم ... فلا يجب أحد منكم... ففي الخارج انفلتت جهنم.... وكل شيء ملتهب ... والآن إذ الثروة دين... فبأي إغفال تجيئون بعبث الملكية؟! ... إنكم تسيرون قدماً... رافعين على كواهلكم الكرة الأرضية... التعيسة والمتشحة بالسواد... محزمة بأوراق أحد الشعانين ... وعبر أدخنة الحمض البشري الكبريتي ... تصبحون خنزير غينيا للمقدسين!

إنها لشكوى مرة تعبر عن مأساة الشعراء أنى كانوا.

وكذلك في نفس السياق يقول الشاعر الروسي (سيرغي اسنين ١٨٩٥-١٩٢٥) تحت عنوان ترجمته" ماذا يعني أن تكون شاعراً؟" ما ترجمة بعضه:

إنه يعني أن تكون مفهوماً بعمق ... أن تجلد جسدك الحساس... وأن تغسل سواك بدمك... إنه يعني أن تهب –بكرم- أغاني طازجة دون استدعاء... إن العندليب لا يكلفه شيئاً... فلديه أغنية وحسب... أما طائر الكناري الذي يقلد... فما هو إلا شيء حزين أسف...أما أنت فليكن لك أتساق النغم...مهما كانت أغنيتك أولية.

هاتان القصيدتان الأخيرتان تعبران خير تعبير عن وضع الشعراء المزري في معظم بلدان العالم، كما أن كل هذا ينطبق على المثال المقدم فيما يلي. ففي قصيدة للشاعر البريطاني (ر.س ثوماس. ولد ١٩١٢) تحت عنوان معناه "موت شاعر" يقول ما بعض ترجمته:

علـــــى فـــــراش مـــــددا ... يرنـــــو لأبعـــــاد المـــــدى
فـــــي نظـــــرة أخيـــــرة ... مـــــن نـــــاظرين أجهـــــدا
يـــــرى الـــــى ضـــــوء النهـــــار ... ســـــاطعاً فهـــــل بـــــدا؟
مـــــاذا يطيـــــق أن يقـــــول ... مـــــن كـــــلام أجـــــودا؟
ان الجميـــــع فـــــي انتظـــــارٍ ... يرقبـــــون الموعـــــدا
لكـــــن تعقَّـــــد اللســـــان ... حـــــال دون المبتـــــدا
إلا كليمـــــــةً ســـــرت ... " آســـــفٌ" مـــــا زيَّـــــدا
يقضـــــي ولا يوصـــــي ... فمـــا حـــاز الثمـــين الجيـــدا
لا شـــــيء حقـــــاً عنـــــده ... إلا أغـــــانٍ رددا
وفـــي بـــرودٍ مثـــل صـــخرٍ ... قـــد تغشَّـــاه النَّـــدى
الشَّـــاعر اعتـــاد السُّـــؤال ... مـــدَّ شـــاحذاً يـــدا

وعلى الجانب العربي فإن شعراً كهذا الذي رأينا في القصائد الثلاث الأخيرة قلما نلمسه لدى شعرائنا- نحن العرب- مع أن اتجاه الشعراء في موضوعه هو اتجاه سليم وفي محله إذا أنه يعبر عن هموم الشعراء عالمياً. ونجد شيئاً من ذلك في قصيدة – من شعر التفعيلة – للشاعر المصري المعاصر(عزت الطيري) تحت عنوان " وتصير الأبيات بناتي":

حين تغيبين قليلاً... ينفجر الشّعر على شفتي وكفّي وصهيل الرّيشةِ... وسطوري... ودواتي وتصير الأبيات بناتي... وصفيَّات صفاتي... والوردات الشقرُ... ضفائر حوريَّاتي...تكتمل كسحر هاروتيٍّ... أدواتي... وتغني فيروز... وتساءل أيظن ترانيم نجاة... وأموسق ذاتي... فأطيلي ... من فضلك... أيام غيابك... حتى يكتمل الديوان...ويطبع... ينشرهُ الناشرُ... (هذا الأفاق اللص) ...قبيل مواعيد وفاتي.

فبالإضافة إلى حديثة عن شعره (وتصير الأبيات بناتي) يشكو هذا الشاعر مراوغة وخداع الناشرين الذين يعملون جهدهم للاستحواذ على نتاج الشعراء بطرق ملتوية ليخصوا أنفسهم بالنفع المادي دون الشاعر صاحب المادة المنشورة.

وتختلف هذه القصيدة الأخيرة "وتصير الأبيات بناتي"للشاعر عزت الطيري عن كل الأشعار العربية التي وردت في هذه الدراسة – حتى الآن –

اذأنها من شعر التفعيلة، هذا النمط الشعري الذي طرأ على الشعر العربي حديثاً.

الفصل الرابع

دراسة مقارنة لأشعار في الحب والغزل

منذ نشأ الإنسان على سطح الأرض متشكلاً من طرفين متكاملين لا غنى لأحدهما عن الآخر وهما الرجل والمرأة، بدأت علاقة الحب تجمع بينهما وذلك حفاظاً على ديمومة الجنس البشري، ولولا تكامل هذين النصفين باندماجهما في كل واحد لفني الإنسان. فمجتمع كله رجال لن يستمر موجوداً بل سوف يفنى وينقرض وكذلك مجتمع كله نساء يفنى وينقرض.

صنف الباحثون الغزل صنفين:

١- غزل عفيف ملتزم حدود الأدب والنزاهة والأخلاق.

٢- والثاني غزل ماجن غير عفيف يتطرق إلى لغة الجسد وهو النسيب. وكما رأينا في دراسة الحب لدى النساء فالوضع مشابه عند الشعراء الرجال، فهناك شعراء حدوا بالغزل العفيف وآخرون تجاوزوه إلى الغزل الماجن. وذلك عند الجانبين الشعراء العرب والشعراء غير العرب.

ثم أنه وكما هناك بعض الشاعرات ممن اتصفن بمثلية الجنسية وقلن في ذلك شعراً – على قلتهن – فإن هناك شعراء اتصفوا بمثلية الجنسية وقالوا في ذلك شعراً.كما يلاحظ أن هذه الظاهرة يمثلها بوضوح في الجانب العربي الشاعر أبو نواس. أما عند الأعاجم فنلاحظ مثلية الجنس عند بعض شعرائهم في أبيات لهم من قصائد نظموها وهي ليست كثيرة.

ولما كان لكل قوم ثقافة بعناصرها التي تميزها وتميز ذويها عن الثقافات والأقوام الآخرين وجدنا أن من معالم عالم الحب عند العرب عناصر يكثر ذكرها في أشعارهم الغزلية من مثل: طول الليل، السهر، النجوم، القمر، الشمس - أحياناً-، الغزال والحمائم وهديلها، على حين نجد لدى الأعاجم الغربيين مفردات مغايرة مثل، أكاليل الورد والأزاهير، شجرة الصفصاف... وآلهات الحب والجمال: أفروديت وهيلين عند قدماء الإغريق ثم كيوبيد وفينوس عند الرومان.

إن معظم شعراء العرب – قبل قدوم الإسلام لم يتقيدوا في جاهليتهم بقيود معينة من دين أو نزاهة في علاقاتاتهم مع النساء اللواتي أحبوا فجاء غزلهم ماجناً مارس لغة الجسد شأن معظم الشعراء الأعاجم حتى المعاصرين فهذا امرؤ القيس تخاطبه فتاته قائلة:

عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزلِ

ثم ان الشاعر المنخل اليشكري (حوالي٥٥٠-٦٠٢م) يقول في قصيدته التي مطلعها:

إن كنـت عـاذلتي فسـيري نحـو العـراق ولا تحـوري

يقول:

ولقـد دخلـتُ علـى الفتـاة الخـدر فـي اليـوم المطيـرِ
الكاعـب الحسـناء ترفـل فـي الدِّمـقس وفـي الحريـرِ
فـدفعتها فتـدافعت مشـي القطـاةِ إلـى الغديـرِ
ولثمتهـا فتنفسـت كتـنفّسِ الظَّبـي البهيـرِ
فدنـت وقالـت يـا منخـَّلُ مـا بجسـمك مـن حـرورِ؟
فأحبُهـا وتُحبُّنـي ويحـبُّ ناقتهَـا بعِيـري

تدافع...لثم...وحرارة جسم ... هذا هو الغزل الماجن ومع قدوم الإسلام أفل نجم الغزل الماجن. وفي العهد الأموي استمر الغزل العفيف الى جانب النسيب – الغزل الفاحش. ويمثل الغزل العفيف هنا جرير في قصيدته التي مطلعها:

بـان الخلـيط ولـو طَووعِـتُ مابانـا وقطّعـوا مـن حبـال الوصـلِ أقرانـا

ويقول:

يـا أم عمـروٍ جـزاك الله مغفـرةً رُدّي علـيَّ فـؤادي كالـذي كانـا
ألست أحسـن مـن يمشـي علـى قـدمٍ يـا أملـح النـاس كـلَّ النَّـاسِ إنسانـا
لقـد كتمـتُ الهـوى حتـَّى تهيَّمنـي لا أستطيـعُ لهـذا الحـبِّ كتمانَـا
أبـدّلَ الليـلُ لا تسـري كواكبـهُ أم طـالَ حتـى حسبت النَّجم حيرانـا

الى أن يقول:

إن العيـونَ التـي فـي طرفهـا حـورٌ قتلننـا ثـمَّ لـم يحيـين قتلانَـا

وعلى عكس القصيدة السابقة، تحتوي هذه مفردات تناسب الغزل العفيف: فؤاد، كتمت الهوى، الليل، الكواكب، النجم...

ومقارنة بين القصيدتين الأخيرتين نلاحظ أن قطعة المنخل هي – عدا البيت الأول – ذات أبيات موصولة دون صدر وعجز محددين لكل بيت بعكس قصيدة جرير. وهناك نغم موسيقي شعري في تكرار حرف التاء في البيت الثالث: دفعتها، تدافعت، القطاة، وكذلك تكرار كلمات مشتقة من فعل "أحب" في البيت الأخير في قطعة المنخل: أحبها، تحبني، يحب. أما في قصيدة جرير فيتكرر حرف التاء، في البيت الثالث: كتمت، حتى، تهيمني، كتمان، وحرف

السين في البيت الثاني، أحسن الناس، إنساناً، كما تتكرر في هذا البيت تكراراً توكيدياً جميلاً كلمة إنسان وفي قطعة المنخل كناية "يحب ناقتها بعيري" يكني بها عن حبه للفتاة، وفي قطعة جرير "أبدل الليل لا تسري كواكبه "و"النجم حيران" كنايتان تشيران إلى طول ليل الشاعر المحب.ثم من المعروف أن بيت جرير (ان العيون التي...الخ) هو اغزل بيت شعر عربي.

وبينما استشهدنا بقصيدة جرير مثالاً على الغزل العفيف في الشعر الأموي، نجد أن الشاعر عمر بن أبي ربيعه يمثل الشعر الماجن في هذه الفترة. وبسبب تمادي هذا الشاعر في الغزل الفاحش وحيث صادف يوم ولادته نفس اليوم الذي اغتيل فيه عمر بن الخطاب – رحمه الله- قيل في ذلك: " أيُّ حقٍّ رُفِعَ وأيُّ باطلٍ وُضِعَ!" وأشعار الغزل الماجن لابن أبي ربيعة كثيرة من مثل:

ولقــد قالــت لأتــرابٍ لهــا ذات يــوم إذ تعــرَّت تبتــردْ

"أكمــا يــذكرني تبصــرنني عمــركنَّ الله أم لا يقتصــدْ؟"

فتضــاحكن وقــد قلــنَ لهــا "حَسَنٌ فــي كـلِّ عـينٍ مـن تـودُّ "

حســدٌ حملْنــه مــن أجلهــا وقـديماً كـان فـي النَّـاس الحسـدْ

فابن ربيعة يتحدث – في هذه الأبيات – عن فتاته وقد تعرت للاستحمام والابتراد ...وهذا غزل ماجن.

وكذلك قوله:

وجــلا بردهــا وقــد حســرتهُ نــور بــدرٍ يضــيء للنَّاظرينــا

ويبلغ الغزل الماجن مداه في أبياته التالية:

أيهــا الطّــارق الــذي قـد عنــاني بعــد مــا نــام ســامرُ الركبــانِ

زار مــن نــازحٍ بغيــر دليــلٍ يتخطّــى إلــيَّ حتَّــى أتانــي

أيهــا المــنكحُ الثريَّــا سُهيــلاً عمــرك الله كيــف يلتقــيان

هــي شــاميةٌ إذا مــا استقلــت وسُــهيلٌ إذا اســتقلَّ يمانــي

إن أشعار ابن أبي ربيعة الماجنة هذه شديدة الشبه بالشعر الماجن لشعراء إنجليز كما سنرى لاحقاً لكن وفي عجالة هذه ترجمة لمقطوعة شعرية انجليزية لشاعر مجهول (وهي على لسان امرأة) تحاكي في مجونها أبيات عمر الأخيرة:

قبلته أمس مساءاً... قبلته هنا وهناك... لقد توددت للأثرياء... وتوددت للملاك... وافترشت الأرض مع العامل ومع السمكري... وقبلت قساوسه... وكان ذلك في الظلام... مرتين وأنا بجلبابي...وثلاثاً وأنا بقميصي... إنما...لا

قسيس... ولا لورد... ولا شخص تافه يستطيع أن يمنحني قبلاً... مثل التي منحني هو.

وفي مقابل أشعار الغزل الخليع لعمر بن أبي ربيعة يوافينا ابن زيدون الشاعر الأندلسي بأشعار له في ولادة بنت المستكفي تندرج تحت لواء الغزل العفيف كقوله:

ودع الصـــبر محـــب ودعـــك	ذائـعٌ مـن سـره مـا استودعـك
يقـرع السـن علـى أن لـم يكـن	زاد فـي تلـك الخطـى إذ شـيَّعك
يـا أخـا البـدر سـناءً وسنـاً	رحـم الله زمانـاً أطلعـك
إن يطـل بعـدك ليلـي فلكـم	بـتُّ أشـكو قصـر اللّيـل معـك

كذلك من الشعر العربي الجميل الحديث نسبياً في الغزل العفيف الملتزم قصيدة للشاعر العربي المصري عبدالله الشبراوي توفي سنة ١٦٥٠ م مطلعها:

وحقـك أنـت المنـى والطلـب	وانـت المـراد وانـت الأربْ
ولـي فيـك يـا والـدي صـبوةٌ	تحيَّـر فـي وصـفها كـلُّ صـبٌ
أبيـتُ أسـامر نجـم السَّمـا	إذا لاحَ لـي فـي الـدُّجى أو غـربْ
وأعـرض عـن عـاذلي فـي هـواكَ	إذا نـم يـا منيتـي أو عتـبْ
متـى يـا جميل المحيى أرى رضـاك	ويـذهب يـا حلـو هـذا الغضـبْ؟
فـإنّي محـبٌّ كمـا قـد علمـت	ولكـنَّ حـبَّك شـيءٌ عجـبْ
أمـا والـذي زان منـك الجبـين	وأودع فـي اللّحـظ بنـت العنـبْ
وانبـت فـي الخـدِّ روض الجمـالِ	ولكـن سـقاه بمـاء اللّهـبْ
لـئن جـدت أو جـرت أنـت المـرادُ	ومـالي سـواك حبيـبٌ يُحـبْ

شعر غزلي عفيف جميل: منى، طلب، مراد، أرب مفردات متتالية ذات معنى واحد تتابع حسن الوقع. وصبوة، صب، أسامر نجم السماء، أعرض عن عاذلي... كلمات تنم كلها عن حب عفيف.

ومع العلم أن هناك شعراء تفردوا أو اشتهروا بنوع واحد من شعر الغزل العفيف كمجنون ليلي (قيس بن الملوح – مر ذكره) وشعر الغزل الماجن كعمر بن أبي ربيعة – مر ذكره – إلا أن هنالك شعراء جمعوا بين النموذجين فنظموا

أشعاراً في هذين اللونين من الغزل مثل الشاعر الأخطل الصغير (بشارة الخوري ١٨٨٥-١٩٦٨م)

فله قصيدة من الغزل العفيف بعنوان " عش أنت " يقول فيها:

عـش أنــت إنــي مــت بعـدك	وأطـل إلـى مـا شـئت صـدك
كانـت بقايـا للغـرام بمهجتـي	فختَّمـــــــــتُ بعـــــــــدك
مـا كـان ضـرك لـو عـدلت	أمـــا رأت عينـــاك قـــدك؟
وجعلـت مـن زنـدي متكئـاً	ومـــــن جفنـــــيَّ مهــــدك
أنقـى مـن الفجـر الضـحوك	فهـل أعـرت الفجـر خـدك؟
وأرق مــــن وقـــع النســـيم	فهـل خلعـت عليـه بـردك؟
أغضاضــــــــة يــــــا روض	إن أنـا شـاقني فشممت وردك
وملامـــة يـــا قطـــر إن أنـــا	راقنـــي فقصـــدت وردك ؟
وحيـاة عينـك وهـي عنـدي	مثلمـــا الإيمـــان عنـــدك
مـا قلـب أمِّـكَ إذ تودعهـا	ولــــم تبلــــغ أشــــدك
بأشـــد مـــن خفقـــان قلبـــي	حـين قيـل "خفـرت عهـدك!"

غزل عفيف: مت، عش أنت، بقايا غرام، لوعدلت، وردك، خفقان قلبي، مفردات معبرة. وقصيدته الثانية المعبرة عن الغزل الماجن فتقول:

فخبـأتُ وجهـي ولكنـه الـى الصَّـدريا أمُّ مـد اليـدينْ
ويا دهشتي حين فتحتُ عيني وشاهدتُ في الصَّدر رُمَّانتينْ
فرحـتُ إلـى البحـر للأبتـرادِ فحمَّلنـي ويحـهُ مَـوجتينْ
فمـا سـرتُ إلاَّ وقـد ثارتـا بـرد فـي كـالبحر رجـراجتين
هو البحر يا أم كم من فتـى غريق وكم من فتـى بين بين!
فهـا أنـا أشـكو إليـك الجميـع فبـالله يـا أم مـاذا تـرين؟
فقالت وقد ضحكت أمها وماست من العجب في بردتين
"عـرفتهم واحـداً واحـداً وذقـت الـذي ذقتـه مـرتين"

الفرق واضح بين قصيدتي بشارة الخوري هاتين، ففي الأولى ومن قبيل الغزل العفيف تتكرر الأسئلة التوكيدية للحبيب معبرة عن إعجاب الشاعر به وحب له. أما القصيدة الثانية فمليئة بتعابير الغزل الماجن. وقد فاق الأخطل

الصغير في ذلك أشعار العرب وغير العرب الحديثين في الغزل الماجن محاكياً في ذلك عمر بن أبي ربيعة .

إن شعر الحب والغزل لدى الشعر الأعاجم مثل نظيره العربي عفيف وماجن دون أن يفرق الباحثون الأعاجم بين هذين النوعين من الغزل والذي يسمونه "شعر الحب" وحسب.

وبينما كان القسم في الحب ظاهرة معروفة في الشعر العربي فهو نادر الحدوث جداً لدى الشعراء الغربيين خاصة.إن أبا صخير الهذلي (شاعر اسلامي أموي) يقول:

أمـــا والـــذي أبكـــى واضـــحك والذي أمات وأحيى والذي أمره الأمر

لقد تركتنــي أحسد الـوحش أن أرى أليفــين منهـا لا يروعهمـــا الــذعر

وكذلك يقسم أبو الجوائز الواسطي:

واعجبـــاً مـــن قولهــــا "خـــان عهـدي ولهـــا"

وحـــق مـــن صيرنـــــي وقفـــاً عليهـــا ولهــــا

مـــا خطـــرت بخـــاطري إلا كســـــتني ولهـــــا

المثالان فيهما قسم بالله – وهناك شعراء يقسمون بغير ذلك في الحب- على صدق حبهما. وفي البيت الثاني للهذلي في قوله (أحسد الوحش...إلخ) كناية عن شدة حبه لفتاته. أما أبيات الواسطي فتنتهي كلها بقافية واحدة مع اختلاف المعاني. "ولها" الأولى فعل ماض، والثانية جار ومجرور، والثالثة أسم تمييز وفي هذا جناس تام.

وبالنسبة للشعر غير العربي وجدنا حالة يجعل فيها الشاعر الإنجليـزي (هنري هوارد ١٥١٨-١٥٤٧) عنوان قصيدة له ما ترجمته "يمين الحب" وفيما يلي ترجمة لبعضها:

ضـــعني بحـــرات بهـــا شـــمس تحـــرق النبـــات
أو حيـــث يغـــدو الـــثلج رغـــم الشـــمس جمـــداً ذا ثبـــات
أو أن تضـــــعني دون أقـــــوامٍ بعقلـــــي أو بـــــلا
عاليـــاً فـــي رتبـــةٍ أو كنـــت منهـــا مغفـــلا
أو كنـــت فـــي طـــولى الليـــالي أو نهـــارٍ أجمـــلا

ويمضي الشاعر يعدد المصاعب والمشاق التي هو مستعد لتحملها من أجل حبيبته إلى إن يقول:

إن كنـت فـي الـدنيا سـليماً	أو ســــقيماً لا خـــــلاف
إنــــي لخــــالص لهــــا	بـل دائـم الإخـلاص واف
هــذا اعتقـــادي الـــذي	أرضــــى بـــه، يقنعنـــي
حتــــى وإن حظــي خـــلا	مــن كـــل غالـــي الــثمن

ورغم أن الشاعر يجعل عنوان قصيدته يميناً في الحب إلا أننا لا نجد لفظ القسم في القصيدة بل يستمر متصاعداً في وصف حبه الشديد حتى يصل إلى قوله: "إني لخالص لها...الخ" إنه غزل عفيف.

وكذلك قصيدة للشاعر الروسي (ستيبان تشيبا تشيف حوالي ١٩٤٠م) بعنوان "شجرة البتولا" ترجمتها إلى الأنجليزية المترجمة ما رغريت واتلهن. واليكم ترجمتها إلى العربية:

تمسك بها العاصفة بقوة... تحنيها عارية في المطر... وهي تتلوى حرة... وتتطلع في سكون... ودون نظرتها... تذبل حدة العاصفة... وثانية وفي ظلام الشتاء... تجيء العاصفة واثقة من فوزها ... فتحاول تجربة بأسها في التحطيم... وتمسك بأذرع الشجرة في مداعبة وقحة... وفي مقاومة لرشاقتها...لكن سرعان ما تنهك قوى المتقدم... وتأبى أن تمنحه عطفاً من لدنها... فهواها في شخص آخر.

انها مقطوعة شعرية جميلة تنفرد دون سواها من القصائد المتدارسة في التعبير عن حرية المرأة في اختيار الرجل الذي تريد أن تكون معه.

ومثال أخر على طرافة الغزل العفيف عند بعض الشعراء الأعاجم هذه قصيدة الشاعر "إدموند سبنسر ١٥٥٢-١٥٩٩ "بعنوان معناه"النفائس" وهذه ترجمة لبعضها:

أيها التجار... يامن... تتعبون...تنصبون...إذ مضيتم في البعيد تبحثون...عن ثمين تكسبون... من مشرق أو مغرب ...في الهند مالاً تجمعون... ما الذي يرغمكم أن تروحوا باحثين... في الأقاصي فاشلين...إن ذا حقاً هجين...إلى أن يقول: فحبيبتي حوت... في ذاتها كل تليد... لا ينال أبداً... إلا من النائي البعيد... إن كان ياقوتاً...فعيناها ...هما الياقوت أزرقه...أما الشفاه...إنها من الياقوت أحمره... أما إذا عن لُؤلُؤٍ... فهذه أسنانها ... من لؤلؤ جد نقي... أما إذا عن الذهب...فشعرها أحلى ذهبٍ... وإن نبستم "فضة"... ففي يديها تلتمع... لكنما أحلى حلي...في حبيبتي خفي... تعلمون...عقلها... هذا الذي قد زينته... أحلى فضائلٍ ثوته. إنه لغزل في غاية العفة.

أما عن الغزل الماجن – وهذا كثير الحدوث في الشعر عند الشعراء الأعاجم خاصة الغربيين، فمن الأمثلة عليه قصيدة للشاعر الانجليزي (توماس ويات ١٥٠٣-١٥٤٢م) تحت عنوان معناه (الشاعر يشكو هجر من كان أحب) يقول في بعضها – مترجماً:-

هـــاجري اليـــوم الـــذي قـد كـان يبغـي صـحبتي
هـــذا الـــذي قـــد كـــان يـــأتي حافيـــاً لغرفتـــي

إلى أن يقول:

أشـــكر الحـــظ الـــذي حـــال بعـــد وتغيـــر
كـــــان يومـــــاً ذارداء جـــد أحلـــى فتمـــرر
إذ نضـــــــت عنهـــــا اللباس ساقطاً عن كتفيها
أمســكت بـــي بوثـــوق وبشـــــوق بيـــــديها

قبلتني ومع القبلة قالت: ما ترى في كل هذا "يا حبيبي؟" حين جادت

لقد بلغ الأمر مع الشاعر خلع الثياب والضم والقبل والله أعلم بالباقي**!**

ومثال آخر على الغزل الماجن قصيدة للشاعر الانجليزي (جورج بيل ١٥٥٦-١٥٩٦) بعنوان مترجم **" صوت من البئر"** وبعض ما يقول مترجماً:

وسرحي بكل مهل شعريا وربتـي بكـل رفـق رأسيـا
فشعرة غداً تصير حزمتا وحزمـــة مـــن النضـــار دوحتـــــــــــــــا

وبعد...فهذه لغة الجسد بعينها، تسريح شعر...وتربيت رأس...ودوحة من النضار في كل هذا توريات.

وهذا مثال أخير على الغزل الماجن لدى الشعراء الأعاجم – وهو كما قلنا كثير – فتحت عنوان معناه "لما حببتك" للشاعر (توماس هود ١٧٩٩-١٨٤٥)- انجليزي – قال قصيدة هذه ترجمة لبعض ما ورد فيها:

لـــم يكـــن فصـــل الشـــتاء حـــين ضـــمنا اللقـــاء
كـــان موســـم الزهـــور الناضـــرات والـــرواء

إلى أن يقول:

قـد كـان إذاك يخـيم الغسـق | إذ قلـت "رح" لكـن ضـممتني طبـــــــــــــــــق

ويقول:

لمـا طلبـت منـك يـا حبـي الوصـــــــــــــال | ناولـت ورداً برعمـاً غضـا بــــــــــــــــــلال
فتحتــه لقلبــه البــاهي التمــام | فيــه الحيــاة للصــميم فــي اضـــــــــــــطرام

فالشاعر يتحدث عن الضم الشديد ويقول إن فتاته استجابت له حين طلب منها الوصال وأعطته ما طلب.

ونجيء الآن إلى غزل اعنف من الغزل الماجن وهو الغزل بالمذكر – المثلي – إن الشاعر أبا نواس (٧٦٣-٨١٤م)- وبالإضافة إلى كونه – شاعر الخمر بين الشعراء العرب- فإنه كذلك من الشعراء القلائل الذين تغزلوا برجال أي كانوا مثليي الجنس وقد بذهم جميعاً في ذلك.ومن أشعاره في ذلك ما يلي: غزال هاشمي

مـزج الكـاس لـي غـزال أديب | هاشـمي أصـاب فيهـا المزاجـا
قـال لـي والمـدام تأخـذ فيـه | "يا أميري إن كنت بي ملهاجا
فقم الآن طائعاً "قلت"عج بـي | يا مليكـي إلـى الفراش"فعاجـا
فحللنـــا هنـــاك تكـــة خَـــزٍّ | وحســـرنا قبـــاءه الـــديباجا

وفي مقطوعة أخرى بعنوان "سابا" يقول:

فقلت له: "ما الاسم حييت؟ " قال لي | "دعاني أبـي "سـابا"ولقبنـي "شـمرا"

ويقول:

ومـــا زال يســـقينا ويشـــرب دائبـــاً | إلـى أن تغنـى حين مالـت بـه سكرا
ونـــام ومـــا يـــدري أأرض وســـاده | توسـد سـكراً أم وسـاداً رأى جهـرا
فقمنـــا إليـــه حـــين نـــام وأرعـــدت | فرائصـــه تجـــري بميدانـــه ضـــمرا

إن أبا نواس في قصائده في الشرب وفي الغزل بالمذكر لم يتفوق على الشعراء العرب فقط في هذين المجالين، بل ليس هنالك شاعر نظير له أو مماثل له بين شعراء العالم قاطبة.

إن شعراً في مثلية الجنس عند الشعراء الأعاجم قليل جداً وهذه امثلة

محدودة: في قصيدته "القرار" يقول الشاعر (الكساندر بروم إنجليزي ١٦٢٠-١٦٦٦) في بيت فيها:

إن شئت أن يهوى فؤادي فانتظر   وهـذه كانـت فتـاة فاصطبـر
لـب الحديث ضمن ذياك الجوى   ان تصدقن هذي الفتاة في الهوى

حديث الشاعر هذا يوحي بأن من يحبه الشاعر قد لا يكون فتاة بل فتى.

وقصيدة أخرى للشاعر (فيليب سدني. انجليزي١٥٤٤-١٥٨٦)بعنوان "تبادل عادل"، مطلعها:

حبي الوفي بات قلبي يملك   فـؤاده فـي كـذاك أملـك

يقول فيها:

قـد تـم هـذا باتفـاق بيننـا   تبـادلاً وبالرضـاء سـعدنا
أنـي أعـز قلبـه معـززا   كذاك قلبي عنده قد عززا
مـا تـم قبـل صـفقة كهـذه   بيع لنا الخيرات في معاذه

ويمضي الشاعر في قصيدته على هذا النحو وليس في القصيدة هذه إشارة إلى أن الحبيب هو امرأة بل يشتم من تتالي الأبيات على هذه الشاكله – رائحة المثلية.

الفصل الخامس

أشعار مقارنة في الحرية

الحرية موضوع بالغ الأهمية للإنسان وهي نقيض العبودية التي كانت موجودة عند العرب قبل الإسلام، جاء الإسلام فشجع الغاءها (وما أدراك ما العقبة، فك رقبة(سورة البلد)).

وكلنا يذكر قول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه – "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟" وعلى كل حال، ورغم الميل الأصيل عند العربي للحرية فإننا لا نجد قصائد متكاملة ولا مجزوءة تتحدث عن الحرية لدى شعرائنا حتى العصور الحديثة. أنني أتذكر في محاضرة لباحث عربي توصية بالمقاومة الخارجية والداخلية. أما المقاومة الخارجية – ضد الاستعمار والمستعمرين- فالأشعار فيها الآن كثيرة. لكن المقاومة الداخلية التي تعني من ضمن ما تعني التمسك بالحرية الشخصية والدفاع عنها فالأشعار فيها قطع نادر جداً في الشعر العربي.

إن الحرية على مستوى الأمة تتمشى والوطنية ومن الأمثلة العديدة جداً على ذلك قول احمد شوقي – مر ذكره – في نكبة دمشق على يد الفرنسيين في قصيدته التي مطلعها:

سلام من صبا بردى أرق ... ودمع لا يكفكف يا دمشق

يقول فيها:

دمُ الثُّوَّار تعرفه فرنسا ... وتعلمُ أنَّه نورٌ وحقُّ

وللأوطانِ في دمِ كلِّ حرٍّ ... يدٌ سلفتْ ودينٌ مُسْتَحَقُّ

لقد وظف شوقي شعره هذا في خدمة وصالح الأمة العربية.كذلك – وعلى نفس الشاكلة- تتجلى قصيدة الشاعر علي محمود طه ١٩٠٢ – ١٩٤٩ ألعربي المصري بعنوان "فلسطين" ومنها:

أخي جاوز الظّالمون المدى ... فحقَّ الجهاد وحقَّ الفدا

انتركهم يغصبون العروبة مجد ... الأبُوَّة والسؤددا

أخي إن جرى في ثراها دمي ... وأطبقت فوق حصاها اليدا

ففــتش علــى مهجــة حــرَّةٍ أبــت أن يمــرَّ عليهــا العــدا
وقبـل شـهيداً علـى أرضهــا دعــا باســمها الله واستشــهدا
فلسطين يفدي حمـاك الشَّبابُ وجــلَّ الفدائـــيُّ والمفتــدى
فلسطين تحميك منَّا الصـُّدور فإمَّــا الحيــاة وإمَّــا الــرَّدى

أشعار وطنية جميلة لشاعرين عربيين مصريين قيلتا في دمشق وفلسطين اللتين هما جزء من الشام وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على الروح الوطنية الصادقة للشاعرين العربيين المصريين وإحساسهم بالغيرة على وطنهم الثاني الشام التي يشملها بيتا شعر للشاعر العربي المصري حافظ ابراهيم (شاعر النيل)- معاصر لأحمد شوقي – حيث يقول:

لمصـر أم لربـوع الشـام تنتسـب هنا العلا وهناك المجد والحسب
خدران للضاد لم تهتك ستورهما ولا تحـوَّل عـن مغناهمـا الأدب

وإذا كان شعراء من بلدان عربية عدة يهتفون باسم حرية فلسطين فحري بأبناء هذا البلد السليب أن يستحثوا الهمم لتحرير فلسطين والأقصى الذي لا يهم العرب وحدهم بل المليار ونصف المليار مسلم على مستوى العالم، فهذا الشاعر الفلسطيني المرحوم توفيق زياد (١٩٢٩-١٩٩٤) في قصيدة له بعنوان "أناديكم"يقول:

أنـــــــــــــــــــــــاديكم أشـــــــدُّ علـــــــى أيــــــاديكم
أبــوس الأرض تحـــت نعـــالكم وأقـــــــــول أفـــــــــديكم
وأهـــــديكم ضـــــيا عينـــــي ودفء القلـــــب أعطيكـــــم
فمأساتـــــي التـــــي أحيـــــى نصـــــيبي مـــــن مآسيكـــــم
أنـــا مـــا هنـــت فـــي وطنـــي ولا صـــــــغرت أكتافـــــــي
وقفـــــت بوجـــــه ظلامـــــي يتيمـــــا عاريـــــاً حـــــافي
ومـــــا نكســـــت أعلامـــــي وصنت العشب فوق قبور أسلافـي

هذه قطعة شعرية جميلة في الوطنية وهنالك أشعار أخرى مشابهة وكثيرة وطنية تتغنى بفلسطين ومعظمها لحن وغني ومنها مقطوعة تقول في أبيات منها:

منتصـب القامـة أمشــي　　مرفـوع الهامـة أمشــي

فـي كفـي قصـفة زيتـون　　وعلــى كتفــي نعشــي

وأنــا أمشــي وأنــا أمشــي　　وأنــا وأنــا وأنــا أمشــي

القطعتان في الوطنية وكلاهما ذات أقوال معبرة يتجلى فيها الحس الوطني. لكن الشاعر في القطعة الأولى – توفيق زياد- لا يتقيد بعدد تفعيلات البحر الذي نظم فيه مقطوعته – البحر الوافر، على حين تتقيد الأبيات في القطعة الثانية بذلك بشكل أكبر وهي من مجزوء المتدارك.

هذا على مستوى الحرية الوطنية لكن إذا تحولنا إلى نطاق الحريات الشخصية فالأمثلة الشعرية عليها تتضاءل حتى تكون شبه معدومة.وأذكر مثلاً واحداً مربي فيقول الشاعر إيليا أبو ماضي في مطلع قصيدة له:

حــرٌّ ومــذهبُ كــل حــرٍّ مــذهبي　　مــا كنــتُ بالغــاويَ ولا المتعصّــبِ

وفي هذا الصدد فلي أنا – المؤلف – قطع شعرية عديدة في الحرية.وهذه واحدة منها بعنوان "في الحرية" نظمتها في ١٩٩٧/٩/١٨ أقول فيها:

أقـــــــدسُ الحرّيَّتـــــــا　　كانــــــت بــــذا حريتـــــا

زانــــــت لنــــا حياتنــــا　　وتســــــعد البريتـــــــا

لــــــولا صبــــا حريــــة　　ســـمحاء تـــوحي البهجتـــا

لـــولا شـــذاها لـــم تطـــب　　هــــذي الـــدُّنى معيشــــتا

منـــــذ بــــرى الله الـــــرحيم　　هـــــــــذه الخليقتَـــــــا

كـم قـد تغنــى الشـعر فيهــا　　اللحـــــن والقصيدتـــــا

بــل ســوف تبقــى للمــلا　　عـــزاً سمـــا وهيبتـــا

تاجـــاً يكلـــل الـــرؤوس　　روعــــــة وزينتــــــا

وإن يغــب هـــذا التـــويج　　ان يطـــــوح مرتـــــا

تغــد الحيـــاة دون معنـــى　　نبتـــــأس كآبتـــــا

وقطعة أخرى بعنوان "حريتي" نظمتها ١٩٩٦ وتجري كما يلي:

تــاج علــى هــام الزمــان　　حريتـــي، مـــامن مـــدان

فـــــوق الثريـــــا ربعهـــــا عـــال منيـــع غيـــر فـــان

التبرتــــــــرب عنــــــــدها والخلــد إن ضــاعت يشــان

ومقطوعة ثالثة بعنوان "وتنتحر الآساد" نظمتها في ١٩٩٧/٢/٢٢ وهي كما يلي:

الليث يرغب عن عيش إذا أسرا ويمقــت العــيش ....محصــوراً ومحتجــــــــــــــــــرا

لا تترك الأسد غابات لها وَشَـرَىً مهما يكن حظها في غيرها وفرا

وترتضي العيش في آجامها شظفاً وفــي ســواهن تأبــاه وإن نضــرا

هذه المقطوعات الشعرية الثلاث تتحدث عن الحرية رافعة من شأنها، فالأولى تتحدث عن حريات لكل الأفراد (بل سوف تبقى للملا...) أما الثانية فتتحدث عن الحرية الشخصية للشاعر كفرد من الأفراد. أما القطعة الثالثة فهنالك كناية في عنوانها "وتنتحر الآساد" فهي تكني عن حب الحرية. ومن معالم البلاغة ففي الأولى جناس كامل في البيت الأول أقدس الحريتا، كانت بذا حريتا. أما الثانية ففيها جناس ناقص ومعه طباق في كلمتي التبر وترب.

ونجيء الآن لتدارس نماذج مما قال غير العرب شعراً في الحرية على ضوء ما مر معنا من أشعار عربية في الموضوع. بينما نرى ان أشعار العرب في الحرية – في معظمها – أشعار في الوطنية كقصيدة شوقي آنفة الذكر"نكبة دمشق"، فإننا نلاحظ أن شعراء الغرب – وبالإضافة إلى أشعارهم في الوطنية – يكتبون قصائد متكاملة في الحريات العامة. والتي تخص أبناء المجتمع كأفراد أو تخص الشاعر كواحد منهم. ويبدو كل ذلك في الأمثلة الآتية. قصيدة بعنوان "الحرية" للشاعر الانجليزي (جون باربر. توفي١٣٩٥م) وهذه ترجمة لبعض ما جاء فيها:

حريــــــةٌ يـــــا حبــــذا شــــيء جميــل هكـــذا

تعطـــي المـــلا انطلاقـــا ثـــم انفراجـــاً ســـاقا

يعـــتش بكـــل غبطـــة مـــن نـــال مـــن حريـــة

وإن تضـــــع أو تفقـــــد مـــا مـــن نبيـــل يسعـــد

ولــــن ينــــال أي شــــي فيــه ســرورٌ مــن أبــي

فكـــــل شــــيء عنـــدنا لهــــا يحــــن الزمنــــا

كـذ لكـم مـن عـاش حـر　　الملـــك بـــات لا يقـــر

ولا ابتئاســـاً أو غضـــب　　ولاتعاســـــة نصـــــب

إذ هــذه تــوهي الحــواس　　يضـــيع فـــيهن الحمـــاس

حريـــــة إن تمتحـــــن　　فســـوف تـــدري إذ تـــزن

قـــدراً لهـــا جـــداً يزيـــد　　عـن كـل عسـجد الوجـود

واضح من شعر الشاعر في قصيدته هذه مدى تشبثه بالحرية ومدى أهميتها وضرورتها له فهي عنده أثمن من الذهب.

وفي مجال حرية الأوطان والمجتمعات يتحدث الشاعر الروسي (فيليمير خليبنيكوف) في قصيدة له عن الحرية نظمها في ١٩١٧/٤/١٢ وترجمها الى الانجليزية (والترمي) فيقول ما ترجمته:

تقبل الحرية عارية الصدر...تمطر قلوبنا بالأزهار...ونحن نسير وأياها... خطوة...خطوة...ونتحدث إلى السماء "انها لنا"...إننا نحن – المقاتلين... لنضرب متحدين مدججين بالسلاح...فوق الترس والدرع...يجب أن يسود الشعب ...في كل مجال...فلتغن البنات...بحذاء ستائر النوافذ...أغاني عن الحروب القديمة...عن خدم الشمس الأوفياء ...عن الناس...منعة لهم...وحكم لهم.

في قصيدته هذه يتحدث الشاعر بلهجة قوية ممجداً حرية الشعب غداة قيام الثورة البلشفية في روسيا.هذا بخلاف القصيدة السابقة التي تحدثت عن الحرية بصورة عامة وبخلاف القصيدة التالية التي تتخذ من الحيوان رمزاً للحاجة الى الحرية وهي للشاعر الانجليزي (جون غالزويرثي١٨٦٧-١٩٣٣) بعنوان "لا تخرج!" متمثلاً قطا بريا محبوساً في قفص. وهذه ترجمة لبعضها:

أنه ينتقل من قضيب إلى قضيب...وفي عينيه نار تكاد تشتعل...وإذا حدث أن لمع شعاع الشمس ...في قفصه يجري...ويقعي حيث يحملق في الخلاء...إن قلب هذا القط...لغابي...ولسوف يموت وحشياً كما ولد...لو أنني استطيع حبس الجنس البشري...برهة...مثله...في مكان محصور...لأ علمهم ما معنى أن تواجه " لا تخرج!"

وفي هذا المعنى لهذه القصيدة الأخيرة مقطوعة شعر عربية تحت عنوان "البلبل" موجهة للأطفال تقول:

قـــد كـــان عنـــدي بلبـــل　　حلـــو طويـــل الـــذنب

ظريـــف شـــكل ريشـــهُ　　يلمــــع مثــــل الــــذهب

ولـــــم أكـــــن أمنعــــه　　مــــن مأكــل أو مشـــرب

ففـــــر منـــــي ونـــــأى　　بـــــدون أدنــــى ســـبب

وقـــــال لـــــي "حريتـــــي لا تشـــــترى بالــــذهب !"

وعن الحرية الشخصية يعبر الشاعر الأسكتلدني (ر.ل.ستيفنسون ١٨٥٠-١٨٩٤) على لسان الشريد في قصيدته المعنونة "الشريد" وهذه ترجمة لبعض ما ورد فيها مترجماً:

أعطنـــي العيـــش الـــذي أحـــب　　ذا الـــذي يشـــاء منـــي القلـــب

كـل مـا أبغـي المنـام فـي الاجـم　　والنجـوم الزهـر أرعـى فـي الظلـم

ثـــم خبـــزاً فـــي نهيـــر أغمـــس　　هـــوذا العـــيش لمثلـــي يســـلس

هـــــو ذا العـــــيش الخلـــــود　　جيـــــد خيـــــراً يجـــــود

لسـت أبغـي مـن غنـى أو ثـروة　　لا هـوى لا مــأملاً فـي عيشتـي

وليحـل بـي فصـل الخريـف الخـاتم　　حيثمـا فـي البـر شَخصـيْ هـائم

ويقول معبراً عن مطلبه الوحيد – الحرية –

لا خضــــوع قـــط للخريـــف　　والشــــتاء القــــارس العنيـــف

وعدا عن القصائد المتكاملة في الحرية لدى شعراء الغرب – وهي كثيرة – نجد إشارات إلى الحرية في أبيات متفرقة في قصائد لشعراء، ففي مقطوعة شعرية للشاعر الإنجليزي وليم شكسبير – مر ذكره – بعنوان "تحت الدوحة الخضراء" يقول في بيت له منوهاً بالحرية:

من كان قانع الفؤاد...حراً مشرف المراد...يسعى لكسب قوته...يرضى عطاء بخته ....فلينزلن قربي هنا...

وبيتان للشاعر الأمريكي (ج.ج هولاند١٨١٩-١٨٨١) في قصيدته المعنونة... "الرجال الألى نريد" يختتم بهما القصيدة بندبه للحرية قائلاً:

تعول الحرية.... ها هنا وتعنت ...

يحكم الظلم البلاد...غيب العدل افتقاد!

ومن الطريف ان يشير الشاعر الأمريكي (رالف والد إمرسون ١٨٠٣-١٨٨٢) في قصيدته "كل شيء للغرام" إلى الحرية في الحب مستلهماً حرية العرب، فيقول ما ترجمته:

بعـض شــيء مـن جـراءة مزيـد فـــي الســبيل ذا محبـــة تجـــود

أنـــت تبقـــى فـــي ذرى الحريـــة عربيــــــاً مطلقـــــاً ذاعـــــزة

يومنـــا هـــذا، وكـــل الأزمنـــه إن تجــد للحــب، تكــرم معدنــه

الفصل السادس

أشعار مقارنة في الفساد

الفساد ظاهرة سلبية ابتليت بها المجتمعات الإنسانية وهي موجودة في معظم المجتمعات في العالم، لكن بنسب متفاوته وبأشكال متفاوته، فهناك بلدان فيها فساد شامل يتغلغل في كل نواحي الحياة فيها، وبلاد أخرى فيها فساد أقل شمولاً ودرجة وهنالك دول بين بين.

والفساد المقصود هنا ليس الفساد المالي فحسب وإنما الفساد بكل أشكاله: مالي، إداري، أخلاقي، اجتماعي، قضائي...الخ ومن الملاحظ أنه كلما قل وتضاءل الفساد في مجتمع معين كلما كان هذا المجتمع أكثر فلاحاً و تقدماً وازدهاراً. وهذا هو السر الكامن وراء استقرار وازدهار مجتمعات كثيرة في العالم شرقاً وغرباً. أما بخصوص وطننا العربي فنحن نشاهد بأم اعيننا ما يحدث في مشرقه ومغربه شماله وجنوبه من قلاقل واضطرابات مدمرة، وما كان هذا ليحدث لو كان هنالك أوضاع صالحة ترضي الشعوب في دولنا العربية المعنية. وإزاء هذه الأوضاع الصعبة لدينا فإننا لا نجد شعراً ينطلق بمستوى المسؤولية للتصدى لهذه الظاهرة السلبية الخطيرة على المجتمعات، بعكس المجتمعات المتنورة حيث يتصدى الشعراء لمقارعة ما قد يطرأ من فساد فلا يقف الشعراء هنا موقف المحايد أمام الفساد. وفي ذلك يقول الشاعر الانجليزي (سيرجون هرينجتون١٥٦١-١٦١٢) تحت عنوان "الخيانة" مع ملاحظة أن هذا الشاعر عاش في القرن السادس عشر لمعظم حياته.

لا تنتهي الخيانة... ما السرُّ والرواية؟...قولٌ سليمٌ إنّه ...إذ تفلحُ الخيانةُ... ما من شجاع مطلقاً ....يغدو به شجاعةُ...حتى يقول معلناً...أن"هذه خيانة"

وشاعر انجليزي آخر (الكساندر بوب١٦٨٥-١٧٤٤) يهاجم الفساد في قصيدة له "انتصار الرذيلة " هذه ترجمة لشيء منها:

إن الفضيلة قد تحل...في راهب قد تمتثل...في علي أو دنيء...أو أنها ملكاً تجيء...لكنها على السواء...محبوبة بها احتفاء...لكنما الرذيلة...منحلَّةٌ مخذولة... إذ قد تردَّت هالكة ...من رتبة الملائكة...إلى التراب آفكه...وفي سقوطها غدت... عديمة المباركه... شبابنا أمامها...هازجون راقصون...من زيف تبريكتسون .... والشيوخ خلفها...تأتي حشوداً زاحفة...ترى جموعاً عاكفة...إلى الصلاة واقفة ... ألا اسمعنها عازفة...تنفخ الصور المسود ...وهي

تشدو وتردد "عندنا ما من فساد ...عندنا الفلاح ساد" ... هذا هو العيب الشديد ...لا يغيض...بل يزيد!

ومظهر من مظاهر الفساد الجشع الذي قد يكون في المادة أو غيرها من أي حاجة تهم الإنسان والتي قد تكون معنوية وليست مادية وحسب.ويتصدى الشاعر الانجليزي (د.ه.لورانس ١٨٨٥-١٩٣٠) للجشع المادي في قطعة شعرية له بعنوان ترجمته "البعوضة تعرف" يقول فيها ما ترجمته:

ان البعوضة تدري جيداً... وبمقدار ما هي صغيرة... فإنها حيوان مفترس... لكن وفي النهاية فإنها تأخذ ملء معدتها... ولا تضع دمي في البنك!

وفي موضوع هذه المقطوعة الشعرية الأخيرة وهو الجشع لي قصيدة أوردها هنا لتماثل الغرض في الشعر.قصيدة عنوانها "الجشع" نظمتها في ١٩٩٥/٣/٢٣ أقول فيها:

بعض الأناس من طمع لا شيء يرضيه، جشع

وليس في أطماعه ألا شقاء ووجع

لو كان يرضى بالنصيب لا كتفى بما ...جمع

قد كان هان أمره ماذاق مراً لو ورع

بل لابتلاء زائد يحثو التراث، يبتلع

يقضي الحياة طامعاً ما كان من قبل اقتنع

لكنه يقضي حزيناً جائعاً ما قد شبع

أما الفساد المعنوي – غير المادي – فنفس الشاعر الإنجليزي الأخير (لورانس) يتطرق إليه بقصيدة عنوانها معناه "تجرد" وهي تسير على النحو التالي مترجمة:

إنهض... وليس لأمر ديني... فالوقت لذلك متأخر جداً...انهض من أجل العدل... ومن أجل حياة سعيدة...إنهض وأنا أحمل عنك قبعتك... انهض من أجل العدل الرائع... فليس لديك شيء تفقده، ... إنما هي وظيفة لا ترغب فيها... وفرصة هزيلة لكسب شحيح لا يسمن ولا يغني من جوع...انهض من أجل شيء جديد... أدرك الفكاهة وأنت تناضل... من أجل شيء يستحق النضال ... قبل أن تقضي...انهض لتنظيم جديد ... من أجل فرصة... لحياة أفضل حيثما كان... من أجل الحرية ... واثبت بموقعك!

هذه القصيدة الأخيرة تشبه في معانيها أبيات شعر ثورية كنت أسمعها من إذاعة عربية وهي:

مصـيرك للمـوت مــت سيــدا فمـا مـات مـن للعـلا استشـهـدا

تقحـم علــى المــوت أبراجــه يخــاف مـن الثــائرين الــردى

تمـــرد، فـــأنك أن تتمـــرد تنـر بالشـموع الـدجى الأسـودا

كذلك ومن قبيل التمرد على الفساد والثورة ضده منذ عهود بعيدة كما رأينا في قصيدة (الكساندربوب) أعلاه، استمرث ثورة الشعراء على الفساد إلى ما بعد ذلك في انجلترا فهذا الشاعر الرومانسي (بيرسي بش شلي – مر ذكره) يهاجم الوضع غير المرضي مطلقاً في انجلترا تحت عنوان معناه "انجلترا سنة ١٨١٩ "وهذه ترجمة لبعض أبياتها:

ملكٌ هرمٌ مجنونٌ... أعمىً مقرفٌ... وعلى شفا حفرةٍ من قبرهِ... وأمراء... حثالة جنسهم المملِّ... هؤلاء الذين يتسللون...عبر ازدراء الشعب... أوحالٌ... من نبع موحلٍ... حكَّامٌ لا يرون... لا يشعرون... ولا يعرفون... لكنهم كالعلقة... يلصقون ببلدهم الواهن... إلى أن يقعوا عمياناً... في الدم دونما حاجةٍ لضربةٍ...شعبٌ جائعٌ...طعن في الأرض اليباس...جيشٌ يقتل الحرية ويسطو... جيشٌ سيفٌ ذو حدين...لكلِّ أولئك الذين يعملونه... قوانين ذهبيةٌ دمويَّةٌ...تغري وتذبح... ديانة دون آلهةٍ ...كتابٌ مختومٌ...مجلسُ شيوخٍ... أسوأ دستور في هذا العصر... لما ينفسخ.

أن هذه القصيدة الأخيرة كتاب مفتوح عنوانه مقاومة الفساد، وفي اعتقادي أن التقدم في دولة كانجلترا انما تم نتيجة ثورات معنوية كثورة هذه القصيدة ضد الظلم والفساد والطغيان. أن الشعر العربي الحالي – بعد أكثر من مئتين وخمسين سنة من تاريخ هذه القصيدة- ما زال ينقصه مثل هذه الاشعار الناقدة البناءة.

الفصل السابع

أشعار مقارنة في الشرب

الشرب عادة قديمة مارسها الإنسان منذ أوقات بعيدة إن في الشرق أو في الغرب. ويبدو هذا في بعض أشعار العرب في الجاهلية، فكان الشاعر يجاهر بأنه يشرب لينتعش وينتشي، لكن شعراءنا في الجاهلية لم ينظموا قصائد متكاملة في الشراب بل جاء ذلك أبياتاً ضمنوها قصائدهم ومعلقاتهم.

ومن الأمثلة على أبيات كهذه نجدها لدى بعض شعراء الجاهلية ومنهم المنخل اليشكري فيقول في قصيدة له:

ولقــد شــربت مــن المدامــة بالصــغير وبــالكبير

فــإذا انتشــيت فــإنني رب الخورنــق والســدير

واذا صــحوت فــإنني رب الشــويهة والبعيــر

كذلك الأمر بالنسبة لعنترة العبسي – وهو جاهلي أيضاً فيقول في بيت من معلقته:

وإذا طربــت إلــى المــدام فــإنني   مستهلك مالي وعرضي وافر لم يثلم[1]

وإذا صحوت فما أقصر عن ندى   وكمــا علمــت شمائلــي وتكرمــي

القولان يتشابهان في أن الشاعر إذا شرب وانتشى فإنه – ورغم النشوة – يظل محافظا على عرضه وكبريائه، وأنه إذا صحا يكون أكرم ما يمكن.

وللشاعر حسان بن ثابت في الجاهلية:

يَسْــعَى إلَــيَّ بِكَأسِــهَا مُتَنَطِّــفٌ   فَيَعِلّنــي مِنْهــا وَإنْ لَــمْ أنْهَــلِ

فبالإضافة إلى وصف حسان للخمر فإنه يتحدث عن الساقي وأنه كان جميلاً ذا أقراط فيملأ نفسه اعجاباً حتى ان حسان ليسكر لرؤية هذا الساقي دون السقاء. وربما كان في هذا غرفة من بحر أبي نواس في تغزله بالمذكر.

إن بعض الشعراء ممن عاقروا الخمرة يتذرعون بأن في الحياة مباهج فلم لا يغنمونها قبل فوات الأوان وقبل انقضاء العمر طال هذا أم قصر.ويظهر هذا في بيت شعر لمرة بن قحطان السعدي (اموي؟).

---

(١) الواو في (وعرضي) عاطفة حالية والعطف هنا عطف جملة على جملة.

ألا فاسقياني قبل أغبر مظلم بعيد عن الأحباب من هو نازله

ونفس الدافع يتمثل لدى الفارسي عمر الخيام (مر ذكره) حين يقول ما ترجمه الشاعر أحمد رامي – مر ذكره –

هبوا املأوا كأس المنى قبل أن تملأ كأس العمر كف القدر

وقوله:

أطفىء لظى القلب بشهد الرضاب فإنما الأيام مثل السحاب

وعيشنا طيف خيال فنل حظك منه قبل فوت الشباب

وسوف نلاحظ أن قصائد متكاملة في الشراب لم تظهر قبل حلول العهد الأموي ومن أول من قالها الأقيشر وهو المغيرة بن عبدالله بن معرض. أما في شعر الأعاجم فمع أن الشرب ميسر في بلادهم أكثر مما هو لدينا لكن عملياً قلما نلقى قصيدة متكاملة في الشرب بل نجد أبياتاً متفرقة تتخلل قصائدهم.

أما الأقيشر الذي توفي ٨٠ هـ فيقول في مقطوعة شعرية له:

أقول والكاس في كفي أقلبها أخاطب الصيد أبناء العماليق

إني يذكرني هنداً وجارتها بالطف صوت حمامات على نيق

أفنى تلادي وما جمعت من نشب قرع القوازيز أفواه الأباريق

تلك اللذاذة ما لم تأت فاحشه أو ترم فيها بسهم ساقط الفوق

عليك كل فتى سمح خلائقه محض العروق كريم غير ممذوقِ

ولا تصاحب لئيماً فيه مقرفة ولا تزورن أصحاب الدوانيق

لا تشربن أبداً راحاً مسارقة إلا مع الغر أبناء البطاريق

وكما لمحنا من قبل فالشاعر أبو نواس – شاعر الخمريات – بلغ في القول في الخمر حداً لا يدانيه فيه شاعر آخر عربي أو أعجمي. وهذه أبيات له من قصيدة في الخمر:

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا بها أثر منهم جديد ودارسُ

مساحب من جر الزقاق على الثرى واضغاث ريحان جني ويابسُ

حبست بها صحبي فجددت عهدهم وإني على أمثال تلك لحابسُ

مكثنا بها يوماً ويومين بعده ويوماً له يوم الترحل خامسُ

تـدار علينـا الـراح فـي عسجديـة حبتهـا بـأنواع التصـاوير فـارسُ

قرارتها كسرى وفي جنباتها مهـا تـدريها بالقسـي الفـوارسُ

فللخمـر مـا زرت عليـه جيوبهـا وللمـاء مـا دارت عليـه القـلانسُ

نلاحظ في هاتين المقطوعتين فارقاً قي الحديث عن مجلس الشرب فبينما يتحدث الأقيشر في معظم ابياته عن أشخاص: هند وجارتها ثم يفصل عن نداماه تفصيلاً نجد أن أبا نواس تحدث في القسم الأكبر من مقطوعته عن الشيء الذي كان السبب في لقائه بنداماه، وهو الخمر وفي هذا دليل على تعلق أبي نواس بالخمر تعلقاً كبيراً تفوق فيه على غيره.

هذا ويعتبر أبو نواس مجدداً في الشعر إذ لم يبدأ قصائدهُ بذكر الأطلال والأحباب على عادة الشعراء العرب بل بدأ راساً بالحديث عن الغرض الذي يريده وهو يقول في ذلك:

عـاج الشـقي علـى رسـم يسـائله ورحـت أسـأل عـن خمـارة البلـد

يبكـي علـى طلـل يرثـي بنـي أسد لادردرك قـل لـي مـن بنـو اسـد

ويقول:

دع عنك هنداً ولا تطرب الى دعد واشـرب علـى الـورد مـن حمـراء كـالورد

في ضوء كل ما تقدم نعلم أن شعر الخمر طرح جانباً في العهد الاسلامي الراشدي، وعاد مجدداً في العصر الأموي فكانت أشعار الأقيشر – المذكور سابقاً – وأشعار الأخطل التي قالها في الخمر. واستمر هذا النمط من الشعر متواجداً في كل العصور التالية. فهذا أحمد شوقي- مر ذكره – يذكر الخمرة في قصائد له:

رمضـان ولـى هاتهـا يـا سـاقي مشـتاقة تسـعى إلـى مشـتاق

كما يصف الخمرة – البيرة – قائلاً:

حـف كأسـها الحبـب فهـي فضـة ذهـب

ورغم أن شوقي عاش في كنف الخديوي فسنحت له الفرصة للتمتع باللهو والطرب غير أن ما قال في الخمر لا يقاس بأي شكل بخمريات أبي نواس.ثم الأخطل الصغير – بشارة الخوري، مر ذكره يخاطب نديمه في قصيدة خمرية قائلاً:

أَسْقِنِيْهَا بأبي أنت وأمي... اسقنيها لا لتجلو الهم عني ...انت همـي

املأ الكأس ابتساما وغراما...زحم الصبح الظلاما...فإلى ما؟
قم ننهنه شفتينا...ونذوب مهجتينا...رضي الحب علينا
يا حبيبي بأبي أنت وأمي... أسقنيها لا لتجلو الهم عني ...أنت همي
غنني واسكب غناك ...ولماك في فمي ...فديت فاك
هل أراك ...وعلى قلبي يداك ... ورضاك
هكذا أهل الغزل ...كلما خافوا الملل ...انعشوه بالقبل
يا حبيبي بأبي أنت وأمي...أسقنيها لا لتجلو الهم عني...انت همي
صبها من شفتيك في شفتيا ...ثم غرق ناظريك في ناظريا
واختصرها اما عليك ....أو عليا...
إن تكن أنت أنا...وجعلنا الزمنا ...قطرةً في كأسنا
يا حبيبي بأبي أنت وأمي...أسقنيها لا لتجلو الهم عني...انت همي

هكذا جمع بشارة الخوري بين شعر الخمر والغزل في آن واحد، لكنه لم يتطرق إلى الغزل بالمذكر كأبي نواس. ويلاحظ على قصيدة الأخطل الصغير هذه أنها تختلف عن كل أشعار الخمر التي مرت معنا في هذه الدراسة إذ أن الأخطل الصغير نهج في نظمها نهجاً جديداً متلاعباً بعدد التفعيلات في البيت الواحد من بحر الرمل، كما أنه أعمل قوافي متباينة...وهذا من خصائص التجديد في الشعر.

وإذا نحن تمعنا في أشعار الإفرنج في الخمر نلاحظ قلة كبيرة في القصائد التي قيلت في الشرب متكاملة، وهذا عكس المتوقع نظراً لزيادة مساحة الحريات الشخصية لديهم أكثر مما عندنا ولعوامل دينية، فبينما يحرم الإسلام الخمور فديانات أخرى كالمسيحية لا تمانع في ذلك كما في شرب النبيذ. وبالتالي فإن نوادي شعراء الإفرنج تكاد تخلو من مجالس الشرب التي عهدناها عند شعراء العرب – كما كان في الأندلس مثلاً – حيث يختلط فيها الحابل بالنابل والشاربون والنساء الحسان والسقاة والساقيات:

أيها الساقي إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

ومن القصائد الخمرية الأعجمية التي عثرنا عليها والتي تقل عن عدد أصابع اليد الواحدة قصيدة للشاعر الانجليزي (أبراهام كاولي ١٦١٨-١٦٦٧) تحت عنوان "شراب" وهذه ترجمة لبعضها:

تشرب الأرض المطر ترتوي حتى البطر
ثم فوها ثانياً في انفراجٍ ينتظر
والنبات في التراب بامتصاصٍ يزدهر

ان بحـــراً قـــد تـــــراه فـــي غنـــاءٍ عـــن شـــراب
كـــــم يعـــــب أنهـــــراً ذات فـــيضٍ وانصِـــبَابْ!

ويمضي في سرده يعدد إلى أن يقول:

مـــا هنـــاك يـــا رفاقـــي أي شـــيء جـــد صـــاح
ان كـأس الشرب تمضـي الـــدهر مـــن راح لـــراح
أســــكبنها يـــا نـــديمي لا تخـــف فيهـــا قصـــاص

وأخيراً:

إن يـــك الكـــل نـــداماً فأنـــا حـــاسٍ ومـــاص

وهناك الشاعر الانجليزي (الكساندربروم١٦٢٠-١٦٦٦) وقصيدته المعنونة "حب، خمور ودين" يقول فيها ما ترجمته:

إنـــي بـــديني غـــارق والعشـــق، إنـــي عاشـــق
كـــذلكم وفـــي الشـــراب دهـراً طـويلاً يـا صـحاب
أعوصـــن آفـــات ثـــلاث مســـــتفحلات وحثـــــاث
مـــا مـــن فقيـــر مثلـــي مضــــنى ثقيـــل الحمـــل
يســطيع فــيهن احتمـــال فهـــن مـــوت ووبـــال
فالحـــب قـــاد للشـــراب والشـــراب فـــي ارتـــقاب
قـــــــادني لدينــــــي بســــــرعة ياخــــــدني
حاولـــت مثنـــى وربـــاع انفـــك منهـــا لارتجـــاع
لكننـــــي لـــــم اقـــــدر منهـــا خلاصـــاًَ فـــانظر
لا شـــيء ســـوف يسعفـــن لا شـــيء ســـوف ينقـــذن
إلا النقـــــود تنفـــــع تمحـــو لمـــابي يوجـــع
تقضـــي جميـــع دينـــي تفـــك كـــل رهنـــي
ثـــم النقـــود لـــي تعيـــد حبـــي الســـالي الصـــدود

عنــي تولــت فــي انشــغال حبــي، هيــامي لــم تبــال

حبـــي النقـــود تجـــذب إلــــــى ذي تقــــــرب

مِــنْ ثــم أمضـــي وأعــود للحـــب دوراً مـــن جديـــد

والشــــرب عـــلا وأعـــب فـــي دورة أخـــرى اطـــب

حـــب وشـــرب ثـــم ديـــن مــا مــن فكــاكٍ أيــن أيــن؟

وما عدا ذلك يقتصر ذكر الخمر عند شعراء الإفرنج على أبيات عابرة في قصائد لهم ذات مواضيع متباينة. ففي بيت له في قصيدته "قلق شاعر" يقول الشاعر الانجليزي (أ.ي.ها سمان١٨٥٩-١٩٣٦):

لـو اسـتطاع المـرء ان يظـل دهـره ثمـــــــــــــــــــــــل بالحب أو بـالحرب أو بـالراح أضحى في جـــــــــــــــــــــــذل

وبيت آخر لشاعر آخرٍ هو (سامويل جونسون إنجليزي ١٧٠٩-١٧٨٤) في قصيدته المعنونة " ما الثَّراءُ؟"

يقول:

إن دار كـــأس للشـــراب وانتشـــــيت النشـــــوتا

إذاك قــل لــي مــا الــذي نـــدعوه نحـــن "الثروتـــا؟"

ومثال آخر حيث يقول الشاعر الانجليزي (بن جونسون ١٥٧٢-١٦٣٧) في قصيدته "إلى سيليا":

أمهلـي سليا فعينـاك الطلـى وأنـــا أرنـــو فأهنـــا ثمـــلا

أودعي في الكأس منك قبلـة ثـم لا أسـأل عـن خمـر بهـا

ثم الشاعر – سابق الذكر – (الكساندر بروم) يقول في قصيدته – سابقة الذكر أيضاً –"القرار":

إن شـــــئت أن أهـــــوى وأن أبقـــــى شـــــغوف
أبغــــي التـــــي اشـــــتاق أو أهـــــوى عطـــــوف

إن لـــــم يكـــــن هـــــذا فدعنـــــي نـــــادلا
كـــأس الحميـــا الصـــرف حلاهـــا الحـــلا

كأســــــا رســــــوم زينـــــت أطرافهـــــا

لـــــون النضـــار[1] قـــد كســـا حفافهـــا

وأبيات شعرية كهذه في الحديث عن الشرب كثيرة التواجد متخللة قصائد انجليزية شتى.

(١) النضار هو الذهب.

الفصل الثامن

أشعار مقارنة في الدهر والدنيا

من خصائص اللغة العربية إتساع مداها وغناها بالمفردات التي لا تدع مجالاً إلا وفيه مفردات منها معبرة. فهنالك مفردات عربية لا نجد نظيراً دقيقاً لها في اللغة الانجليزية.وعلى سبيل المثال – لا الحصر – فكلمة " دهر" العربية ليس لها نظير دقيق في الإنجليزية. بل أنهم يستعملون كلمة ذات معان متعددة لديهم للإشارة إلى "الدهر" وهذه هي كلمة Time التي تشير أيضاً إلى ساعة معينة من الزمن، وإلى مدة أو فترة زمنية ما، وإلى معنى "مرة".

كثيراً ما يلصق الشعراء العرب بالدهر صفات سلبية – وقلَّ هذا عند الشعراء الغربيين – كالغدر بالإنسان وظلمه لبني البشر وعدم الحرص على راحته وهدوء باله فهذا الشعر العربي الصلتان العبدي الذي كانت له علاقة مع جرير (٦٥٣-٧٣٣م) والفرزدق يقول عن الدهر في مقطوعة شعرية جميلة له:

أشــاب الصــغير وأفنــى الكبيــر　　مــرور الليــالي وكــر العشــيّْ

إذا ليلـــة هرمـــت يومهـــا　　أتـــى بعـــد ذلـــك يـــوم فتـــيّْ

ولبيد بن ربيعة (توفي ٤١ هـ/٦٦١م) يقول منوهاً بالدهر:

بلينــا ومــا تبلــى النجــوم الطوالــع　　وتبقــى الــديار بعــدنا والمصــانع

كما يقول في بيت في قصيدة أخرى وبنفس المعنى:

أو لــم تــري أن الحــوادث أهلكــت　　إرمــا ورامــت حميــراً بعظــيم؟

نلاحظ في الأبيات أعلاه تكرار حروف معينة في المفردات المستعملة – وهذا شيء مستحب في الشعر فهو يعطي نغماً موسيقيا مطرباً، ففي البيت الأول للصلتان يتكرر حرف الراء في كلمات (الصغير، الكبير، مرور، كسر) وفي البيت الأول للبيد يتكرر حرف النون في كلمات (بلينا، نجوم، بعدنا، المصانع).

ومن الأشعار العربية الكثيرة في الشكوى من الدهر أبيات الشاعر الحطان بن المعلي – شاعر اسلامي – **فيقول شاكياً الدهر:**

أنزلنـــي الـــدهر علـــى حكمـــه　　مـــن شـــامخ عـــالٍ إلـــى خفــض

وغـــالني الـــدهر بـــوفر الغنـــى　　فلـــيس لـــي مـــال ســـوى عرضـــي

أبكـــاني الـــدهر ويـــا ربمـــا أضـــحكني الـــدهر بمـــا يرضـــي

وشاعر عربي آخر قائلاً لفتاته:

درت مـــع الـــدهر ولا ذنـــب لـــي إلا هـــوى قلبـــي فهـــل أدنبـــا؟

وقول شاعر عربي:

عضـــــنا الـــــدهر بنابـــــه ليـــت مـــا حـــل بنابـــه

في هذا البيت الأخير – وهو من مجزوء الرمل- لونان من البديع، ففيه جناس تام بكلمتي «بنابه» حيث أن الأولى جار ومجرور- اسم. أما الثانية ففيها جاران ومجروران- ضميران متصلان. ثم هناك استعارة في «عضنا الدهر» وكأن الدهر حيوان يعض. هذا البيت أغنى بديعاً من سابقه الذي فيه استعارة «درت مع الدهر» إشارة إلى أن الدهر عدو للشاعر. وهو من مجزوء الهزج إلا أن التفعيلة الأخيرة في عجزه غير سليمة.

وفي مقابل ذلك فنادرة جداً أشعار الأعاجم الغربيين في الشكوى من الدهر. وهذه واحدة من هذه القصائد النادرة وهي للشاعر الانجليزي (وليم ليل باولر ١٧٦٢-١٨٥٠) تحت عنوان ترجمته "الدهر والأسى" وهذه ترجمة لها:

أيها الدهر! ... من يعرف يداً رحيمة...توضع شغوفة...على جرح الأسف ... فتهلل متمهلة... للأحاسيس المتعبة لعلها تقر... وتمضي باللهاث المنهك... بعيداً خفياً؟ فعليك- وأخيراً... يعتمد أملي الوحيد... وفكر إن انت جففت الدمعة الحرى... التي تسيل عبثاً فوق كل روحي... فقد أنظر إلى الوراء... نحو كل أسف ماض... وأقابل مساء الحياة الهادىء بابتسامة... كطائر وحيد... عند ساعة رحيل النهار... وهو يغرد في اشعة الشمس... ناسياً زخة المطر العابر... ومع ذلك ... فأواه!... كم على هذا الفؤاد المسكين أن يتحمل!...هذا الذي يأمل منك... أنت وحسب ... شفاءاً.

إن ندب الأمم السالفة والمندثرة كإرم وحمير وعاد...الخ نزعة موجودة بشكل بين لدى الشعراء العرب بعكس الشعراء الغربيين الذين لا يعيرون ذلك اهتمامهم على أني عثرت على قصيدة في هذا المعنى للشاعر الانجليزي شلي – مر ذكره – تحت عنوان "أوزيمانديا‌س" يتحدث فيها على لسان مسافر من أرض عتيقة قائلاً ما ترجمته:

رجـلان مـن حجـر ضـخمتان... دون جسـد...تقفـان فـي الصـحراء... وحـذاءهما... وعلـى الرمـل... وجـه مهشـم... غـارق لنصـفه... شـفة متجعـدة متكشرة... هازىء بقوى البرد... ينبىء أن من نحته يفهم هذه العواطف ...جيداً وهي التي ما فتئت مطبوعة على هذه المعالم... الخالية من الحياة...اليد التي

سخرت بها...والفؤاد المغذي لها...وعلى القاعدة ... تبدو هذه الكلمات: إسمي أوزيمانديـاس... ملك الملوك...انظروا إلى أعمالي...أيها الأقوياء...واقنطوا! وتروي المراجع أن هذه الآثار في طيبة بمصر وهي من عهد رمسيس الثاني كما يقول المؤرخ الإغريقي (ديودوروس حوالى ٣٠ ق.م). ثم إن «شلي» في قصيدته هذه يتكلم عن معالم قديمة من تراثنا لا من تراثهم.

ومن قبيل التفاؤل بالمستقبل ونسيان الماضي هذا الشاعر الأمريكي (هنري وادزويرث لونغفلو ١٨٠٧-١٨٨٢) يخاطب الدهر مشبهاً إياه بنهرين – نهر الأمس ونهر الغد – في قصيدته " النهران" يقول ما ترجمته: يا نهر الأمس... يا من تسير مسرعاً عبر الشروخ... وحالاً تغيب عن الأنظار... إني لا أحرص أن أتبعك... وأن ألاحق الأوراق الميتة... التي تنداح في قعرك... يا نهر الغد ...إنني أرفع عيني... وأتبعك... مثلما ينسلخ الليل صبحاً...فينتشر ضوء الفجر...وتذبل الظلال... وتتحول!... أتابعك... حيث تجري مياهك... عبر حقول غير مطروقة... ولا مألوفة...فواحة بالأزاهير... منغمة بأغنية... وأواصل متابعتك... متأكداً أنني سالتقي الشمس... وواثقاً أن ما يجيء به المستقبل... هو الصحيح... ما لم أكن أنا نفسي...خاطئاً.

هذه القصيدة بمعناها الجميل الذي يبعث على التفاؤل ويوحي بجمال المستقبل وبضرورة نسيان الماضي نجد لها مشابهاً في قول الشاعر السوداني المعاصر الهادي آدم في قصيدته "أغداً ألقاك"" ١٩٧١:

فغداً تأتلق الجنة أنهاراً وظلا وغداً ننسى فلا نأسى على ماض تولى

وكذلك قول شاعر عربي معاصر مخاطباً طائراً:

هل ترى راعك يا طير من الغيث هتونه
ومن الرعد وقد ثار كما يبدو جنونه
ومن الورد وقد فاضت مع الفجر عيونه

* * *

إن يكن ذلك يا طير فلا تبك وغن
وتأمل وتمن، لذة العيش التمني
وتنقل في رياض الآس من غصن لغصن
سوف يبدو الروض لو تعلم في أحسن حسن

يبدو في هذه المقطوعة الشعرية مظهران من مظاهر التجديد في الشعر فهي أولاً من مجزوء بحر الرمل، ثم فيها تنوع في القافية.

الفصل التاسع

أشعار مقارنة في الدين

يشكل الدين موضوعاً شغل بال الناس في مشارق الأرض ومغاربها منذ أقدم الأزمنة واختلف الناس في دياناتهم المتعددة المتباينة ما بين أمة وأمة وما بين قطر وقطر وأحياناً يظهر تباين ديني في القطر الواحد أو الأمة الواحدة.على أن هناك أناساً في العالم ممن يعتبرون الديانات عموماً أموراً ثانوية.فدعونا نتذاكر بعض ما قال الشعراء المتباينون في الدين لغرض المقارنة.

ومن أوائل الشعراء العرب الذي أوردوا أبياتاً في الدين في قصائدهم لبيد بن ربيعة الشاعر المخضرم فيقول:

ان تقوى ربنا خير نفل　　　وبإذن الله ريثي والعجل

أحمد الله فلا ند له　　　بيديه الخير، ماشاء فعل

من هداه سبل الخير اهتدى　　　ناعم البال ومن شاء أضل

فاكذب النفس إذا حدثتها　　　إن صدق النفس يزري بالأمل

غير أن لا تَكْذِبَنْهَا في التقى　　　واخزها بالبر والله الأجل

وقد مر من قبل ذكر لبيته ..."بلينا وما تبلى النجوم الطوالع..."

أما الحطيئة – مخضرم – فهو القائل بعد موت النبي (ﷺ):

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا　　　فيالعباد الله ما لأبي بكر؟

أيورثها بكراً إذا مات بعده　　　وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

وبعد أن عاد إلى الإسلام إثر ردته قال:

ولست أرى السعادة جمع مال　　　ولكن التقي هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد ذخراً　　　وعند الله للأتقى مزيد

والسلك الناظم والواصل بين مقطوعة لبيد وبيتي الحطيئة الأخيرين هو حب التقوى. ومن الشعر الديني الحديث نسبياً قصيدة البردة للشاعر محمد البوصيري ١٢١٣-١٢٩٦م والتي مطلعها:

أمن تذكر جيران بذي سلم　　　مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

وقد عارض أحمد شوقي قصيدة "البردة" للبوصيري بقصيدته "نهج البردة" ومنها:

ريم على القاع بين البان والعلم	احل سفك دمي في الأشهر الحرم
لما رنا حدثتني النفس قائلة	يا ويح جنبك بالسهم المصيب رمي
جحدتها وكتمت السهم في كبدي	جرح الأحبة عندي غير ذي ألم
يا لائمي في هواه والهوى قدر	لو شفك الوجد لم تعذل ولم تلم
يا ناعس الطرف لاذقت الهوى ابداً	أسهرت مضناك في حفظ الهوى فنم

أما قصيدة البردة نفسها التي عارضها شوقي فهذا شيء منها:

أمن تذكر جيران بذي سلم	مزجت دمعاً جرى من مُقلةٍ بدم
ام هبت الريح من تلقاء كاظمة	فأومض البرق في الظلماء من إضم؟
فما لعينيك إن قلت اكففا"همتا	وما لقلبك إن قلت" استفق يهم
لولا الهوى لم ترق دمعاً على طلل	ولا أرقت لذكر البان والعلم
نعم سرى طيف من أهوى فأرقني	والحب يعترض اللذات بالألم
يالائمي في الهوى العذري معذرة	مني إليك فلو انصفت لم تلم

القصيدتان من البحر البسيط. ولقد تبع شوقي البوصيري في جعله الأجزاء الأولى من قصيدته في موضوع الغزل – مع إغفال المكان – علماً بأن الغرض في القصيدتين غرض ديني. وهذا كله مشابه لما اعتاد عليه الشعراء العرب منذ أيام الجاهلية ذكرى الحبيب ومنازل الأحبة وأطلالها. ومازال هذا ماثلاً عند بعض شعرائنا أيامنا هذه. والمقطوعتان غنيتان بالبديع وبينما تكثر في ابيات شوقي المذكورة الكنايات وكلها تشير إلى الحب (أحل سفك دمي، بالسهم المصيب، وكتمت السهم...)، يتخلل أبيات البوصيري "الطباق" (البرق والظلماء، اكففا وهمتا، استفق يهم، لذات وألم...)

واشير هنا إلى أنه قلما تجد شاعراً مسلماً أو عربياً يورد في شعره شيئاً مناقضاً للدين أو يعبر عن شيء من عدم الإيمان أو زعزعته(او مناقشته بطريقة هزليه)على حين هناك العديد من شعراء الأعاجم وخاصة الغربيين من يعمد إلى ذلك كما سنرى لاحقاً.

ونجيء الآن الى الطرف الثاني من المعادلة شعر الأعاجم الديني وعند الاطلاع يلاحظ ان أشعار الشعراء الانجليز في الدين ليست قليلة على تباين في التمسك بالتعاليم الدينية.

من هذه الأشعار الدينية للأنجليز قصيدة للشاعر(مونتاغوتوب ليدي ١٧٤٠-١٧٧٨) بعنوان معناه "صلاة للحياة والموت" وهذه ترجمة لبعض ما ورد فيها:

يا صخرة الآجال لي شق بك	فلأ ختبئ فيك دخولاً عبرك
وليسر ماء جارياً وليغد دم	في الجنب منك يسريان لي كإثم
ثم الشفاء ضعف هذا شافع	عني سيمحو كل ذنب دافع
يا رب فاعلم انما صنع يدي	كل الذي أمرت من أمر علي
قصرت عنه إنني لا أستطيع	حملاً له (استغفر الله السميع)

إلى أن يقول:

وحين تأتي ساعتي فأزفر	وأعيني ترنو وليست تبصر
وعندما أمضي أنا أحلق	في عالم المجهول شخصي يمرق
أراك ربي أنت فوق العرش	(وفي حماك مستغيثا أمشي)[١]

إن القارىء لهذه القصيدة – دون معرفة قائلها – لا يحسب أن قائلها مسيحي إذ ليس فيها أي إشارة لذلك، فهي تبدو وكان قائلها شاعر مسلم.

وكذلك الحال مع القصيدة التالية للشاعر(جيفس إيوارث؟) بعنوان "دعاء"حيث يقول:

أعين ربي بيدي	يارب جد لي بعض شي
وكن إلهي بي حفي	فلست ربي بالعصي
كلا وليست رايتي	رعناء ذات غلظة
ما بالصليبي أنا	فكن إلهي لي الهنا
وكن إلهي لي محبا	ارفقن لا تأبى
يا رب إني غير رث	فكل ما قيل وبث

(١) غير موجود في النص الأصلي للقصيدة.

جميعــــــــــــه يهمنـــــــــــــي	تســـــــــطيع أن تضــــــــــرني
ربـــــــي فعطفـــــاً خلنـــــــي	لا تهجرنــــــــــي وارعنـــــــــي

ولما كان الأعاجم وخاصة الغربيون منهم على مقادير كبيرة من الحرية الفكرية نجد أن بعض شعرائهم يتطرقون إلى الدين بشيء من عدم الرضا وبتوان في اليقين – تراجع قصيدة وات وتمان "الحيوانات" في فصل "الطبيعة والبيئة". ثم هذان بيتان يشيران إلى الجراءة الأدبية التي يتحلى بها قائلهما الشاعر الأسكتلندي (جورج ماك دونالد ١٨٢٢-١٩٠٥) لكن لما وظف الشاعر إسماً انجليزياً معقداً لا يتمشى والترجمة إلى العربية شعراً – وهو الغنبرود- فقد أعملت محله اسماً عربياً يناسب الغرض وهو "حربي" والبيتان وهما نقش على قبر:

هـا هنـا أثـوي وإسـمي "حربـي"	رحمـة منـك فجـد لـي ربـي
مثلمـا لـو كنـت أنـت "حربـي"	وأنـا رب عليـك ربـي

إن معنى كهذا في موضوع ديني لا يقترب منه شاعر عربي أو مسلم.

ومن الشعراء المتهاونين- نوعاً-في التعاليم الدينية الشاعر(آرثر هغ كلاوغ ١٨١٩-١٨٦١) فله قصيدة عنوانها مترجماً "آخر عشر وصايا" فيجمع فيها بين ما هو أصيل وبين ما يرى هو ويقول فيها ما ترجمته:

إن لك رباً واحداً... فمن هو الشخص المستعد ليزري بنفسه... بالقول بإلهين... ما من صور منقوشةٍ تعبد... ما عدا النقود... لا تشتمن أبداً... فشتيمك ليس يضيره شتمك... وذهابك إلى الكنيسة أيام الآحاد...يبقي العالم صديقاً لك...أكرم والديك... فذلك مجلبة للفلاح لك... لا تقتل... لكن ليس عليك أن تروح متكلفا لتعيش... لا تجترح الزنا... فقلما يجيء بفائدة ...لا تسرق... فالسرقة عمل تافه... على حين أن الغش مربح جداً... لا تشهد الزور...فدع للكذب مجالاً... ليطير على أجنحته هو... لا تحسد ... إذ أن العرف يتيح كل أشكال التنافس.

وعلى ما يبدو فإن هذا الشاعر أراد ان يعبر عما يختلج في نفسه إزاء آفات اجتماعية في المجتمع الإنجليزي في زمنه ومنها كما يبدو في النص: تقديم النقود في الأهمية فتعبد، صعوبة كسب العيش، تفشي الغش والمعاناة من التنافس غير الشريف. وعلى كل حال، وكالمقطوعة الشعرية السابقة ما من شاعر عربي أو مسلم يجيء بنص ديني يجعله شعراً ويحرفه.

ثم إنني ألفت الانتباه ثانية إلى قصيدة "الحيوانات" للشاعر والت وتمان التي مرت في فصل (الطبيعة والبيئة) وهي تتسق مع هذا النمط من الشعر الذي له مواقف سلبية من تعاليم الديانات.

الفصل العاشر

أشعار مقارنة في الكرم وما إليه

أن الكرم عادة عربية أصيلة. لقد فرضته طبيعة الصحراء على العرب خصلة حميدة.وذلك لسبب بسيط هو أنه دون تعاضد وتكاتف ودون مساعدة البعض للبعض لا يستطيع الإنسان العيش في أراض جافة عطاؤها قليل إلا إذا تعاون الجميع على شؤون الحياة ومتطلباتها من هنا ظهرت عادة الكرم عند العرب.وفي هذا يختلف الوضع في دول الأعاجم وخاصة في الغرب كأوروبا فهي بلاد أمطارها كثيرة وأرضها دائمة العطاء، فلم تنشأ الحاجة الماسة كما هي في بلاد العرب الجافة.من ثم لم تتطور لديهم فكرة الكرم كما هي عند العرب لم يصبح الكرم غرضاً من أغراض الشعر لديهم بل يتمثل في اشعارهم بدل ذلك الحديث والحض على التعاون.

ولنتفحص الآن بعض أشعار العرب في الكرم لغرض المقارنة.فهذا حاتم الطائي .(توفي ٥٧٨م) المثل العربي في الكرم – يقول:

أمـا والـذي لا يعلـم السـر غيـره   ويحيـي العظـام البيض وهـي رمـيم

لقد كنت اختار القرى طـاويَ الحشـا   محافظــةً مــن أن يقــال لئــيم

وإني لا ستحيي يمينـي وبينهـا وبـين   فمــي داجــي الظــلام بهيــم

وهذا ذو الاصبع العدواني (توفي نحو ٦٠٠ م) يقول في الكرم:

أكـرم الضـيف والنزيـل وإن بـت   خميصا يضم بعضي بعضي

هنالك وجه شبه بلاغي بين قول حاتم في بيته الثالث وبين بيت ذي الإصبع إذ في كليهما كناية تعبر عن إعطاء الشاعر الأولوية لضيفه في الطعام دون نفسه، وهذه هي الإثرة المحببة.

ثم قول الشاعر مسكين الدارمي (٧٠٨-٧٧٢م):

كـأن قـدور قـومي كـل يـومٍ   قبـاب التـرك ملبسـة الجـلال

كـأن الموقـدين بهـا جمـالٌ   طلاها الزفت والقطرانُ طال

بأيـديهم مغـارف مـن حديـدٍ   أشــبهها مقيَّــرة الــدوالي

ويقول أبو زياد الأعرابي الكلابي:

لــه نارتشــب علــى يفــاعٍ إذا النيـران ألبسـت القناعـا

ولـم يـك أكثـر الفتيـان مـالاً ولكن كـان أرحـبهم ذراعـا

وبين قول الدارمي وقول الكلابي عامل مشترك هو "النار" التي هي رمز للكرم العربي ويقول حاتم الطائي لغلامه:

أوقـد فـإنَّ الليـل ليـلٌ قـرُّ والـريح يـا بنـي ريـحٌ صـرُّ

لعــلَّ يبصـــرها المعتـــرُّ إن جلبت ضيفاً فأنت حرُّ

وبينما تحفل أبيات الدارمي بالتشابيه، يتضمن بيتا الأعرابي كنايات "تشب على يفاع" كناية عن الكرم و "النيران ألبست القناعا" أي أطفئت دليل البخل والممدوح ليس كذلك. وكناية" أرحبهم ذراعاً " أي أكرمهم. ويصل الكرم ذروته لدى المقنع الكندي – مر ذكره – إذ على حين نعرف أن الكل يعشق الحرية ويرفض العبودية فالكندي لا يترفع عن أن يكون عبداً لضيفه ما دام لديه:

وإنـي لعبـد الضـيف مـا دام نـازلاً ومـالي سـواها شـيمةٌ تشـبه العبـدا

في بداية الحديث عن الكرم بينا كيف تشكلت لدى شعراء الأعاجم خاصة الأوروبيين فكرة التعاون وبالتالي لم يشكل الكرم لديهم غرضاً شعرياً بل تطرقوا في أشعارهم إلى فكرة التعاون.

وفي معظم الحالات نجد أبياتا متباينة في قصائدهم وأشعارهم تتحدث عن التعاون دون أن يكون هنالك توارد لقصائد متكاملة قيلت فيه.لكن عثرت على مقطوعتين شعريتين قصيرتين في التعاون وهما في نفس الوقت لشاعرين مجهولين الأولى منهما بعنوان معناه " صديق محتاج" تقول ما ترجمته:

"صديقٌ محتاجٌ"... قال لي جاري: "صديقٌ محتاجٌ، ...هذا ما أعني، ففي وقت الضيق آتي إليك... وساعة الحاجة...ستجدني وفياً."فكرت قليلاً...ثمَّ أخذت بيده... وقلت "يا صاحبي...إنك لا تفهم المعنى الكامن في هذه الارجوزة...إنَّ الصديق...هو ما يحتاج اليه القلب دائماً وابداً."

أما القطعة الثانية فتحت عنوان"مديد العون"تقول ما ترجمته:

مدوا يد العون...لبعضكم البعض...في العناء اليومي للحياة...فعندما نلتقي بأخ ضعيف...دعونا نعنه...في كفاحه...فما من ثري بالغ الثراء...إلا - وبدوره- سيضطر للإقتراض...إن نصيب الرجل الفقير اليوم...قد يصبح نصيبنا غدا.

ما عدا ذلك هنالك أبيات متفرقة تدعو إلى التعاون ترد في قصائد ذات مواضيع مغايرة ففي قصيدة له تحت عنوان مترجم"وصية رجل"يقول الشاعر (آدم لندسي غوردون؟)

بعد المطلع:

أوصــــيك أن لا تســـــألا   فــي العـيش بـل أن تعمـلا

وينوه بالتعاون:

أعــن إذا احتــاج الجــوار   لا تكـــــن مـــــــؤجلا

وفي مقطوعة شعرية أخرى للشاعر (ساموبل جونسون ١٧٠٩-١٧٨٤) تحت عنوان معناه "ما هو الثراء؟"

مطلعها:

إن الثــــراء يــــا فتـــى   جــــاء المــــلا والـــدورتا

يقول:

ادع القريــــب والغريــــب   وامـــــنحن أعطيتـــــــا

□الفصل الحادي عشر

أشعار مقارنة في الأطفال

بعد أن ناقشنا في دراسة مقارنة أشعاراً قيلت في هذا الموضوع من قبل الشاعرات، نناقش نفس الموضوع في أشعار الشعراء الرجال.وعموماً نرى أن ما كتب من شعر في هذا الخصوص أقل مما هو متوقع إن في الشرق أو في الغرب. وكأن الكثيرين من الناس – ومنهم الشعراء- لا يفطنون لأولادهم إلا اذا قضى هؤلاء الأطفال لسبب أو لآخر.وعلى قلة ما نلقى من شعر في موضوع الأطفال ومنه – رثاء الأطفال المتوفين – لدى شعرائنا العرب، فان هناك العديد من المقطوعات الشعرية الانجليزية التي قيلت في اطفال توفوا كنقوش على قبورهم أن كان الطفل ولداً أو بنتاً.

ويمثل حب العرب لأطفالهم خير تمثيل أبيات الشعر التي قالها الحطان بن المعلي(شاعر إسلامي):

ولـــولا بنيــات كزغــب القطـــا	رددن مــن بعــض إلـــى بعــض
لكـــان لــي مضـــطرب واســـع	فـي الأرض ذات الطـول والعـرض
وإنمــــا أولادنـــــا بيننــــا	أكبادنـــا تمشـــي علـــى الأرض
لــو هبــت الــريح علــى بعضــهم	لا متنعــت عينــي مــن الغمــض

ومثال آخر على حب الأبناء لدينا – نحن العرب – قول الشاعر الحديث ابراهيم ناجي ١٨٩٦-١٩٥٣ إذ يقول:

يـــا ابنتـــي إنـــي لأشـــعر أنـــي	مــلأت مهجتــي شــموس منيــره
أشــــرقت فرحتـــان عنـــدي	فهـــذي لعمـــاد وهـــذه لأميـــره
أنتمـــا فرقـــدان فهـــو جديـــر	بالـــذي نالـــه وأنـــت جـــديره
إغنمـــا كـــل مـــا يطيـــب وفـــوزا	بالمســـرات والأمـــاني الـــوفيره
وافرحـــا بالـــذي يطيـــب ويرجـــى	عيشـــة نضـــرة وعـــين قريـــره

أن الشاعر إبراهيم ناجي بدأ بالحديث عن حب أبنائه بمخاطبة ابنته، فهو لم ينحز إلى جانب الولد ضد البنت، وكذلك فعل الحطان بن المعلي في المقطوعة السابقة.

وأنا – الباحث – فقد كتبت أكثر من قطعة شعرية في حب أطفالي – خمس بنات.ومن هذه القطع قطعة نظمتها أثناء دراستي للدكتوارة في الهند بتاريخ ١٩٩٦/٥/٢ أقول فيها:

ورود يــــا حبيبتــــــي ... يـــا وردة الحديقـــــة

يــا ريــم يــا (رمرومتــي) ... كنجمـــــة مضـــــيئة

(لمــوس) أنــت غــايتي ... وأنـــت كـــل منيتـــي

بشـــرى بقلبـــي دائمـــاً ... أنـــا فـــدى بنيتـــي

أمــا الخزامــى فهــي أحلــى ... وهـــي أشـــهى زهـــرة

أرجـــو مـــن الله القديـــر ... ان تحـــين عودتـــــي

نحيَـــى بـــسِلواد معـــاً ... نقــول مـــا مـــن غربــة

نهنـــا بـــأفراح اللقـــاء ... الـــــدائم المســــرة

وعلى الجانب الأخرى فلدى الشعراء الأعاجم – الغربيين – أشعار في حب الأطفال أقل مما لدى الشعراء العرب غير أن ما قال الشعراء الإنجليز من أشعار كنقوش على قبور أطفال متوفين كثيرة.

ومن المقطوعات الشعرية الانجليزية القليلة في هذا الخصوص مقطوعة لشاعر (ج. وسترب) بعنوان ترجمته "أفضل شيء" يقول فيها ما ترجمته:

لدي بيت أنيق... وفيه أشياء فريدة... أم وأب... وجرس في الباب الأمامي... يقرع... وغرفة طعام... ومطبخ... وغرف نوم وقاعة... إنما الطفل الذي هو في مهده... فأجمل ما يكون... والمثال التالي يظهر كيف أن حب الأطفال يطغى على ما قد يحدث من خلاف بين الأب والأم، فبعد حدوث الشقاق، لا يلبث الرجل أن يعود لطفله ولزوجته، فيقول الشاعر (روبرت جرين١٥٦١-١٥٩٢) على لسان زوجته في مقطوعة شعرية له بعنوان "اغنية سفستيا" ما ترجمته:

لا تبك يا طفلي اللعوب...وابتسم فوق ركبتي... فهناك من الأسى... ما يكفي... عندما تكبر... إن أمك مؤنسة... أيها الولد الجميل... أنك أنت أسف أبيك... ومرحه... عندما رأى أبوك... ولأول مرة... ولداً عزيزاً مثلك...جاء مني ومنه... سُرَّ أيما سرور... وحزنت أنا... حالت الحظوظ فغيرته... لما هجر ولده الجميل... أسفه الأخير وفرحه الأول... ومن القصيدة أيضاً: ابتسم الطفل اللعوب... وبكى أبوه... والأم ولولت... والطفل قفز... وزاحم...

وزاحم... وصاح.... وصاح... إن الطبيعة لا تستطيع أن تحفظ الأسى... فلا بد له من أن يعود... ولا بد له من أن يقبل الطفل... وأمه... وأن يبارك الولد... أسف الوالد وفرحه.

عدا ذلك وعلى ما يبدو فإن الأبيات المتفرقة (من حب الأطفال) التي قد تتضمنها قصائد مختلفة هي ايضاً محدودة جداً في الشعر الانجليزي. فبعد البحث والتحري لم أجد سوى بيتين منفصلين في قصيدة للشاعر الانجليزي (لوردبيرون١٧٨٨-١٨٢٤) في قصيدة له عنوانها مترجماً "إنه لشيء جميل".

في هذه القصيدة يعدد الشاعر أشياء جميلة تروقه.وبيتاه المعنيان هنا كما يلي:

إنه لشيء جميل...أن نسمع لثغ الأطفال...وبواكير كلماتهم.

وفي بيت ثان يقول:

إنه لشيء جميل للوالد... ميلاد أول طفل له.

أما الأشعار التي قيلت في الأطفال بعد موتهم فبينما هي قليلة جداً عند الشعراء العرب نجدها كثيرة في الشعر الانجليزي. ومن هذا القليل جداً في الشطر العربي قصيدة الشاعر العربي ابن الرومي(٢٢١-٢٨٣هـ) التي يرثي فيها ابناً له ومنها:

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي	فجودا فقد أودى نظيركما عندي
تخير داعي الموت أوسط صبيتي	فلله كيف اختار واسطة العقد
على حين شمت الخير في لمحاته	وآنست من أفعاله آية الرشد
عجبت لقلبي كيف لم ينفطر له	ولو انه أقسى من الحجر الصلد
وإني وإن متعت بابني بعده	لذاكره ما حنت النيب في نجد
واولادنا مثل الجوارح أيها	فقدناه كان الفاجع البين الفقد
لكل مكان لا يسد اختلاله	مكان أخيه من جزوع ولا جلد
عليك سلام الله مني تحية	ومن كل غيث صادق البرق والرعد

وللشاعر الإنجليزي (ثوراستوول) قصيدة رثاء في طفل (نرجح أنها بنت لذكر الشاعر كلمة إسورة في القصيدة) وعنوانها مترجماً "الغويشة الزرقاء"

في هذه القصيدة يعدد الشاعر بحنين إلى ابنته الأشياء التي خلفتها بعد موتها وتذكره بها. وهذه ترجمة لبعض ما جاء فيها:

مررت أمس بحديقتك... كل الورود ميته... والعصافير التي خلفت... تلعب في حوض السوسن الجاف... ان كل أزهارك الجميلة الأخرى... ذبلت في هذه الساعات اللاهبة...

ويمضي الشاعر بعدد الآثار التي خلفتها الطفلة إلى ان يقول:

إلى جانب باب الحديقة الصغيرة...وتحت...تحت في الغبار وجدت...طبع قدمك الراقصة المرحة..في الأرض الجافة الظمأى...هل سوف تأتين ثانية ليلاً لتلعبي...حيث أنك لن تجيئي نهاراً...وقفت بمفردي حزيناً...وبانت لعبةٌ اعتدت ان تلبسيها...ظهرت مكسورةً...لونها حائل.

القصيدتان الأخيرتان تعبران عن عاطفة صادقة وحزن لوفاة الصغير. وفي كلتيهما صورة شعرية دقيقة فيها تفاصيل عن المتوفى، غير انه بينما يعتمد ابن الرومي الناحية المعنوية في رثائه (شمت الخير، عجبت لقلبي... اولادنا مثل الجوارح... لكل مكان... عليك سلام الله) فإن الشاعر الانجليزي يلمس الجانب المادي فيتكلم عن أشياء الطفلة التي تذكره بها بعد وفاتها (حديقتك، أزهارك، طبع أقدامها، الغويشه) هذا إضافة إلى الحزن الذي أبداه هذا الشاعر الانجليزي (وقفت بمفردي حزينا) لكن حزنه هذا لم يبلغ مدى تأثر أبن الرومي بفقده ولده والذي يتضح في تركيز ابن الرومي على الحديث عن شخص ابنه المتوفى دون أي شيء سواه وعن حزنه الكبير(بكاؤكما، وإني وأن متعت، عليك سلام الله).

وقصيدة أخرى لشاعر انجليزي (توماس لفل بدوس ١٨٠٣-١٨٤٩مات منتحراً) لا تقل في روعتها في الحديث عن الولد المتوفى وعن الحزن الشديد الذي يعانيه الشاعر لموت ابنه عما راينا في القصيدة الأخيرة ففي قصيدته هذه والمعنونه بما ترجمته "بائع الأحلام" يقول مترجماً – بعض القصيدة:

ان تـــأت أشـــباح المنــــى   مـــــاذا ترانــــي أطلــــب

هـــــل اربــــداداً للســــعير   ام نعيمـــــــاً أرغـــــــب؟

أهوى انبعاث مهجتي ابني   لقــــد طــــال النــــوى

يهــدي أبــاه كــل فـــرح   إنـــــه لـــــب الجـــوى

لكنمــــا لــــيس هنــــاك   أي اشــــــباح تقـــــوم

فـــالموت هـــذا خــــاتم   لا درب فيــــه للقــــدوم

فغــــادرن تــــاج الحيـــاة   غـــــــب عنـــــه وزل

دعــه وبــر كمــا هــوت اوراق ورد قـــد ذبـــل
هـــذي خيـــالات ســـرت وذا خطابهـــا خبـــل
وهكـــذا تحقـــق الأحـــلام تخلـــــــــــــــد الأزل

وللشاعر الانجليزي(روبرت هرك١٥٩١-١٦٧٤) أكثر من مقطوعة نقوشاً على قبور اطفال توفوا. وهذا نص واحد منها بعنوان "نقش على قبر طفلة"

بــرعم غــض ويثــوي هاهنــا مــن دم كانــت ولحــم كائنــا
لــم تكــد أعينهــا تبصــر مــا فــي الــدنى هــذي فغامــا نومــا
امنحوهـــا مـــن لعيبـــات ولا تحركـــوا تربـــاً بقاياهـــا عـــلا

كل الأشعار المتعلقة بالأطفال والتي ناقشناها حتى الآن هي أشعار كتبت عن الأطفال، في حب الأطفال، في موتهم...الخ وفيما يأتي سوف نناقش أشعاراً قيلت للأطفال كي يتدارسوها، يفهموها ويحفظوها أي لغرض تعليمي للأطفال.الأشعار من هذا النمط كثيرة عندنا وعند الأعاجم. لكن ما لدينا – نحن العرب – منه ليس كله جيداً.فكثير ممن يكتبونه لا يجيدونه اعتماداً على أنه موجه للأطفال فيعتقدون أن أي كتابة تفي بالغرض، أو أن بعض من يكتبون لا يجيدون الكتابة والنظم.

ولما كان لي كتاب نظمت فيه مقطوعات شعرية عديدة ليتدارسها الأطفال فإنني اثبت واحدة منها هنا للمناقشة وهي بعنوان "إني أحب المدرسة":

أنـــي أحـــب المدرســـه كمـــا أحـــب منزلـــي
فإنهـــا لـــي مؤنســـه مفيـــدة يـــا أم لـــي
فيهـــا أصـــير قاضـــيا وفـــي مقـــامي عاليـــا
أو ضـــابطاً أو عالمـــا مهندســـاً أو حاكمـــا
فيهـــا مـــن المعلميـــن خيـــراً لنـــا هـــم يبتغـــون
العلـــم مـــنهم والحنـــان لنفعنـــا طـــول الزمـــان
كتابـــــة مطالعـــــه وبعـــــدها للجامعـــــه

وما أود أن أقول أيضاً في هذا المقام أنه عندنا – نحن العرب – رغم وجود شيء من الأشعار الموجهة للأطفال – وعلى علاتها – إلا أنها ليست

شيئاً إذا ما قيست بالوان أخرى من أدب الأطفال كالقصص مثلاً. أما لدى الأعاجم – وبخصوص قصص الأطفال – فحدث ولا حرج. أما اشعار الأطفال الإنجليزية – الموجهة للأطفال – فلا غبار عليها كشعر.

ونسوق هنا بعض الأمثلة عن الشعر الموجه للأطفال لغرض الدراسة المقارنة فللشاعر الإنجليزي (الفرد تنيسون ١٨٠٩-١٨٩٢) وهو من شعراء البلاط الملكي قصيدة عنوانها مترجماً "أغنية طفل" يقول فيها ما ترجمته: ماذا يقول الطائر الصغير... في عشه في مطلع الصباح؟... يقول: ""دعيني يا أم أطر"...فترد عليه: "أيها الطائر الصغير... تمهل بعد قليلاً... حتى تقوى أجنحتك الصغيرة "فيكن بعد قليلاً...ثم يطير مبتعداً... ماذا تقول الطفلة الصغيرة...في مطلع الصبح الجميل؟ تقول الطفلة الصغيرة ما قال الطائر الصغير..."دعيني يا أم انهض وأطير بعيداً...فترد أمها: "نامي أيتها الطفلة الصغيرة بعد قليلاً...حتى تشتد اطرافك...فإذا نامت بعد قليلاً... فسوف تطير الطفلة بعيداً.

لدينا مقطوعة شعرية عربية مشابهة لقصيدة تنيسون المذكور آنفاً في معانيها وتنص القصيدة – وهي لشاعر مجهول – على ما يلي:

فــي مطلــع الصــبح الجميـل	والزهـــــر بســـــام بليــــل
عصــــفورة فـــــي عشـــــها	وقفــــت تقـــول لأمهــــا
" يــــا أم إنــــي أشتهـــــي	أنــــي أطيـــر وازدهــــي"
قالــــت لهـــا الأم الحنـــون	"إنـــي أحـــب لــك السكـــون
حتــــى إذا اشـــــتد الجنـــاح	وصــــار غـــلاب الريـــاح
واشــــتد ســــاقك والعظـــــام	نلــت المنـــى نلــت المـــرام

ومثال آخر مقطوعة شعرية انجليزية بعنوان "الحمار" لشاعر مجهول تقول ما ترجمته:

لو كان عندي حمار... ورفض السير... فهل أضربه لعله يسير؟ كلا... ولا... وكلا... بل سوف أعطيه العشب... والذرة التي يحب... وسوف يغدو ويصير... أحب من كل الحمير.

اما أمير الشعراء – احمد شوقي وقد مر ذكره – فيقول في قصيدة موجهة للأطفال بعنوان "الحمار":

سقط الحمار من السفينة في الدجى   فبكـــى الرفـــاق لفقـــده وتـــألموا

لكنمـا فــي الصــبح قـد جـاءت بــه   نحـــو الســـفينة موجـــه تتقــــدم

قالــت ""خـذوه كمـا اتـاني سالمــاً   لـــم أستســـغه لأنـــه لا يهضـــم"

يلاحظ أن مقطوعة شوقي تتناقض مع المقطوعة الانجليزية التي سبقتها، فبينما تحث المقطوعة الإنجليزية على الرفق بالحيوان – وهنا الحمار – ومعاملته بلطف نجد أن أحمد شوقي يحط من قدر الحمار بقوله (لا يهضم) دون ذنب يقترفه الحمار.علماً بأن لدينا قطعاً شعرية تحض على الرفق بالحيوان موجهة للأطفال ومنها واحدة بعنوان **"الرفق بالحيوان"** وهي أيضاً لأحمد شوقي، تقول:

الحيـــــوان خلـــــق   لـــــه عليــــك حــــق

إن كـــل دعـــه يســـترح   وداوه إذا جـــــــــرح

ولا يجــع فـــي داركـــا   او يظـــم فـــي جواركـــا

لســـــانه مقطـــــوع   ومـــــا لـــــه دمـــــوع

هذه مقطوعة شعرية عربية جيدة تدعو إلى الرفق بالحيوان فهي بذلك تدعو إلى الرفق بالبيئة وعدم الإساءة إليها.

وفي ختام هذا الفصل عن أشعار الأطفال أشير ثانية الى المقطوعة الشعرية التي مرت في حينها للشاعرة (بياترس براون) في الفصل الثامن من الباب الأول بعنوان "طيارتي الورقية" والتي ذكرنا أن معظمها يتحدث عن الريح لا عن الطائرة الورقية وهنا أقول إني وفي كتابي"أشعار الأطفال" نظمت مقطوعة شعرية عن " طيارة الورق" تقول:

طيــري طيــري يــا طيــاره   أعلــى أعلــى فــوق الحـــاره

طيــري طيــري مــع الــريح   يـــأتي، يعلـــو ويـــــروح

فيـــــك ألـــــوان ألـــــوان   فـــي العـــين تحلـــو للإنســـان

أنـــت حمـــــراء خضـــــراء   أنـــت صـــــفراء زرقـــــاء

كـــــــالنجم أنـــــــت والله   يــا حســن الألــوان الزاهـــي

نحـــن فيـــك مســـــرورون   والخـــيط منـــك ممســـكون

يلاحظ الفرق بين مقطوعتي وتلك الانجليزية فمقطوعتي مكرسة كلياً لغرض القول وهو "طيارة الورق" بينما لم تكن المقطوعة الإنجليزية كذلك.

الفصل الثاني عشر

أشعار مقارنة في العمل

مع العلم أن العمل ضروري لكل الناس وفي كل الأوقات لكن نظرة الناس اليه تختلف من شخص لآخر ومن جماعة إلى جماعة. فمنذ أيام الجاهلية نظر الكثيرون من العرب الى العمل اليدوي نظرة فيها استعلاء فكان البعض منهم يحتقر العمل اليدوي ويعتبره أمراً معيباً يترفع عنه. ومن قبيل هذا الإزدراء بالعمل البدوي قول شاعر عربي عن نفسه:

لـــيس براعـــي إبـــل ولا غـــنم ولا بجـــزار علـــى ظهـــر وضـــم

وهذا الاعتبار الدوني للعمل اليدوي ما زال ماثلاً لدينا حتى أيامنا هذه إذ يميل معظم الناس لدينا إلى الوظيفة التي لا تعتمد على إعمال اليدين في شغل به كد وتعب ومن هنا أطلق عليهم لقب ذوو"الياقة البيضاء"فكان طبيعياً والوضع هذا أن لا نجد اشعارا كثيرة خصصت للحديث عن العمل لدينا – نحن العرب- ولا عن الآلات التي يعملها العاملون.هذا بعكس الحال عند الأعاجم وخاصة الغربيين.

ويلمح إلى شيء من ذلك شاعر النيل حافظ إبراهيم في قصيدته عن اللغة العربية والتي مطلعها فيقول مشيراً إلى علاقة اللغة العربية بالعمل وشؤونه:

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنســـيق أســـماء لمخترعـــات

دعونا نقارن هذا الوضع للشعر العربي في العمل بنظيره لدى شعراء الأعاجم وخاصة الغربيين وهم الذين خاضت أممهم مجالات العمل بهمة ونشاط كبيرين منذ أوائل عصر النهضة ومع بدايات العصور الحديثة، فقال شعراؤهم أشعاراً كثيرة تمجد العمل وتثني عليه.فهذا الشاعر الأمريكي(لويس انترماير سنة١٨٨٥) يكتب قصيدة ترجمة عنوانها "صورة الآله" وفيما يلي ترجمة لها:

أي شيء عار جميل كهذه؟...أيها الوحش المطيع...والذي يهر في عمله هذه العضلات الحديدية العارية...والتي تقطر زيتاً...هذه القضبان ذات الأصابع الواثقة...والتي لا تخطيء؟...ما هذه الخاصرة...المعدنية اللامعة ...انها السحر...لا يستطيع عمل مشحم أن يتلفه...وهذه الآلة الضخمة...إذ تشق التربة...لتدس غضبها بهسهسة لطيفة...انها لا تبدي أي اشمئزاز...انها لا تنقلب على صانعها بكراهية مدمرة بل هي تحمل شماتة أعمق...أنها تحيى لتؤمن خبز

سيدها...فتضحك ...إذ ترى سيد الأرض هذا العظيم...الذي يحكم...لكنه لا يستطيع أن يتعلم...إذ أنه يغدو عبداً لما قد خلق عبيده.

ومثال أخر – للمقارنة – قصيدة للشاعر الروسي (فالري بريوسوف) بعنوان "العمل" نظمها ١٩١٩ وترجمها إلى الإنجليزية (والترمي) وهذه ترجمة لبعض ما جاء فيها:

ربما يعلم العالم العديد من الكلمات...من مثل (جواهر، ذهب أوفولاذ)... كلمات براقة...تلتهب وتتوهج...ليس من كلمة أقدس من كلمة "عمل"...إن الناس من سكان الغاب...اضحوا رجالاً بحق...حينما هيئوا – وفي يوم مقدس التربة – بمحاريثهم...ثم بداوا جولاتهم في العمل...

ومن القصيدة أيضاً: هنا قناديل... بأنوارها الجديدة المنتصرة...سيارات تجري ... قطار... وسكة حديد... طائرات تطير بلا دروب...كل هذا تراث للعمل!ان المكان المناسب في الحياة!...إنما يخص – وحسب – أولئك الذين يكدون كل يوم، وللعمال أغاني المجد...عليهم فقط سوف يوضع الغار.

وبعد فأين ما جاء في هاتين القصيدتين – الأمريكية والروسية – من الشعر العربي في مجال العمل؟

انه لغني عن البيان إعجاب هذين الشاعرين – الأمريكي والروسي – المختلفين قومياً – اعجابهما بالعمل وبالآلات العاملة...إلا أنهما يختلفان في معانيهما في أواخر ما قالا، فبينما يمجد الشاعر الروسي العمال ويستوجب تكريمهم بوضع الغار على رؤوسهم فإن الشاعر الأمريكي يذهب خطوة ابعد فيصف العامل المشرف على الآلة بأنه عبد لها.وفي وقوله هذا بعض الصدق – على الأقل – فلطالما قضت الآلات والاختراعات الحديثة من طائرات حربية ومدافع وصواريخ وقنابل لطالما قضت على أعداد كبيرة من جنس مخترعيها من بني الانسان قديماً وحديثاً.

الفصل الثالث عشر

أشعار مقارنة في الحرب

الحرب قديمة في العالم قدم الإنسان نفسه. فمنذ أقدم الأزمنة نشبت الحروب داخل الأمة الواحدة – وما تزال – كما نشبت بين أمة أو أمم وبين أمة أخرى أو أمم أخرى – كالحروب العالمية – .

لقد واكب الشعر أحداث الحروب منذ القدم. لقد كتب الشاعر(اسخيلوس الإغريقي ٥٢٥-٤٥٦ ق.م) مأساة (أغا ممنون) عن ملك الأغريق الذي قاد بلاده في الحرب ضد طروادة (حروب طروادة ١١٩٣-١١٨٤ ق.م) ثم كتب عن هذه الحرب أيضاً (هوميروس الإغريقي حوالي٨٥٠-٧٥٠ ق.م) في ملحمتيه (الالياذة والأوديسة) كذلك كتب الشاعر الروماني فيرجيل ٧٠-١٩ ق.م ملحمته المماثلة (الإنيادة).

وفيما يلي نماذج شعرية في الحرب للمقارنة، على جانب العرب في الجاهلية لما نشبت حرب البسوس (٤٨٥-٥٢٥م) بين قبيلتي بكر بن وائل وقبيلة تغلب قال الشاعر الفند الزماني الأبيات التالية دعماً لقبيلته بكر بن وائل:

صفحنا عن بني ذهل وقلنا القوم إخوان
عسى الأيام أن يرجعن قوماً كالذي كانوا
فلما أصبح الشر وأمسى وهو عريان
ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا
بضرب فيه توهين وإخضاع وإقران
وطعن كفم الزق غذا والزق ملآن
وبعض الحلم عند الجهل للذلة إذعان
وفي الشر نجاة حين لا ينجيك إحسان

كذلك قال الأعشى – صناجة العرب، مات ٦٢٩م / ٧ هـ شعراً في حرب جرت بين العرب والفرس تغلب فيها العرب وفيها قال الرسول (ﷺ): اليوم انتصفت العرب من الفرس وهذا بعض ما قال:

فثاروا وثرنا والمنية بيننا ... وهاجت علينا عبوة فتجلت
نحاسيهم كأساً من الموت مرة ... وقد رفعت راياتهم فاستقلت
بأيديهم البيض الخفاف وفوقهم ... من البيض أمثال النجوم تدلت

فمـر علـى الهـامرز وسـط بيوتنـا   شـآبيب مـوت أسـبلت فاسـتهلت

الفرق بين هاتين القصيدتين العربيتين في الحرب: ففي المقطوعة الأولى وحيث كان الخلاف بين قبيلتين عربيتين نجد فيها عنصر الصفح، بينما خلت مقطوعة الأعشى في الحرب ضد الفرس من أي معنى من معاني الصلح فهم أمة معادية ليسوا عرباً.وكأن هذا يتناسب مع بحري الشعر اللذين قيلت فيهما القصيدتان، فبينما أعمل الفند بحر الهزج من بحور الشعر السهلة القصيرة في الحرب بين قبيلته العربية وبين قبيلة عربية أخرى حرب أخف وطأة وحدة ودوافع من تلك التي تكلم عنها الأعشى والتي دارت بين الفرس – كأمة أيضاً، حرب ضروس لا مجال فيها للصفح والتهاون فأعمل الشاعر فيها البحر الطويل – من البحور الأصعب – بحراً يتناسب مع الخصائص المذكورة لهذه الحرب ونلاحظ هذه الشدة في الشعر في محاربة الأمم المعادية في قصيدة إبي تمام عن معركة عمورية ضد الروم البيزنطيين فيقول في بيت منها:

يسعون آلافاً كآساد الشرى نضجت   جلـودهم قبـل نضـج التـين والعنـب

فهو في بيته هذا يدعو على الروم دعوة مريرة ما من قبلها أبى رحمة.

لكن الأشعار العربية التي تخاطب القومية العربية لم تظهر إلا في شعر الشعراء الحديثين ولم تكن كذلك في الأشعار السالفة فبدلاً من تمجيد القومية والاعتزاز بها ها هو ثالوث جرير والأخطل والفرزدق – في العهد الأموي – ينشغلون في مهاجاة بعضهم البعض ويوغلون في ذلك أيما إيغال.

وحديثاً كتب الشاعر(عبد المنعم الرفاعي ١٩١٧-١٩٨٥) عن النضال يخاطب القدس الشريف:

أيهـا السـاري إلـى مسـرى النبـي   ونجـــي الـــوطن المغتصـــب

ويقول فيها:

قـــد كبونـــا رب مهـــر جامـــح   رده فـــي العـــدو مكـــر الثعلـــب

فانتفضـــــنا فـــــإذا راياتنـــــا   صـــيحة الثـــأر ومـــوج الغضـــب

زحـــف الجنـــد وحـــان الموعـــد   والمجـــال الرحـــب أمـــس والغـــد

ومنها أيضاً:

فانطلقنـــا خلـــف أبعـــاد المنـــى   فـــي المجـــال الصـــاخب المحتـــدم

نحـــن ثـــوارك جئنـــا نفتـــدي   تربـــك الغـــالي بمســـفوح الـــدم

يلاحظ الفارق بين مقطوعة الرفاعي والقصائد السابقة لها فمن قبيل التغيير في أسلوب نظم الشعر غير الرفاعي في القافية لديه حرف الروي ما بين (الباء والدال والميم) وهذا من قبيل التعديلات الحديثة التي طرأت على نظم الشعر.

وعلى حين تتردد مفردات معينة كثيراً في شعر الحرب عند الشعراء العرب من مثل بيرق وراية، أدوات الحرب كالسيف، الدرع، البيضة: الخوذة، الطعن، نجد أن الشعراء الإفرنج وفي أشعارهم الحربية تتردد كلمات مغايرة من مثل: الدف أو الطبل، الصور أو البوق، جعجعة الحرب...الحرية. ويتضح هذا في الأمثلة التالية:

للشاعر (برت هارت؟) قصيدة تحت عنوان ترجمته "بوق الصباح" وهذه ترجمة لها:

أصغ... إنني أسمع دوس الآلاف... ودوي الرجال المسلحين... ها! تجمع مجموعة الأمة حول الدف النشط المنذر... قائلاً "هلموا... أيها الرجال الأحرار... هلموا... قبل أن يضيع تليدكم... "قال الدف النشط المنذر"دعوني أستشر قلبي: ليس الحرب كل شيء في الحياة... من الذي سوف يبقى ليحصد المحصول... حينما تهل أيام الخريف؟غير أن الدف ردد... "هلموا...ان الموت ليحصد محاصيل الصناديد"قال الدف المهيب المجلجل ومنها:

ماذا لو برد وتخدر فؤادي؟... لكن الدف أجاب: "هلموا!... إنه لخير أن نموت متحدين من أن نعيش جبناء، فهلموا! "فأجابوا – أملاً وخوفاً... وبعضهم بإيمان... وآخرون مشككين... حتى صفر الصور... "يا شعبي المختار...تعالوا!" آنئذٍ،... سكت الدف... وقد أجاب قلب الأمة الكبير النابض...: "رباه إنا قادمون!"

إن الشاعر هذا (برت هارت) يقول: "خير لنا أن نموت متحدين...من أن نعيش جبناء" وهذا قريب في معناه من قول عنترة العبسي (٥٢٥-٦١٥م).

لا تسقني كأس الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

وقول المتنبي:

أطلب العز في لظى ودع الذل ولو كان في جنان الخلود

أما قصيدة (لورد بيرون ١٧٨٨-١٨٢٤) والتي نظمت في ١٨١٥/٦/١٨ تحت عنوان معناه: "عشية معركة واترلو" فنلاحظ فيها اختلافاً في النبرة وفي موقف الشاعر من الحرب، ومنها مترجماً:

علا ليلاً صوت عربدة... فتجمعت إذاك عاصمة بلجيكا... بنسائها الجميلات وفرسانها... وساطعة أنارت الفوانيس... ليلف نورها النساء الشقراوات... والرجال الشجعان... لقد دق بسعادة ألف قلب... وعندما ارتفع

صوت الموسيقى بنغمتها الشبقة... تلفتت أعين نضرة... إلى أعين تتكلم ثانية... وبات الجميع مسرورين... مثل لحن لناقوس زواج...لكن صه! اصغ! لقد دوى صوت عميق نغما متصاعداً... ويتواصل الاحتفال اللاهي... ونيتهم... حتى الصباح...ثم: إسمع! لقد دوى ذلك الصوت الضخم... ثانية... وكأن السحب تردد صداه.. أقرب وأوضح وأرعب من ذي قبل! السلاح، السلاح...أنه صوت المدافع متفجراً. وختام القصيدة:

لقد شهدهم ظهر أمس ممتلئين بحياة الشهوة...وشاهد مساءُ أمس حلقات المرح الفاخرة...أما منتصف الليل فقد جاء بالإشارة الصوتية للقتال...وجاء الصباح بتجييش السلاح...أما النهار...فأتى بعرض عصيب للمعركة.... لقد اطبقت عليها سحب الرعد...وما أن تمزقت هذه...حتى اكتست الأرض كساءاً سميكاً من صلصال آخر...يغطي صلصالها هي...مكوماً ومحصوراً...فالفارس والفرس والصديق والعدو...تماهوْا في مد فن واحد أحمر!

والفارق بين القصيدتين الأخيرتين الانجليزيتين في الحرب هو في الموضوع التفصيلي لكل منهما، فبينما تصطبع القصيدة الأولى – وهي للشاعر (برت هارت) بصبغة الحث والحض على القتال-هلموا ايها الرجال الأحرار هلموا قبل أن يضيع تليدكم..الخ- فإن القصيدة الثانية- وهي للورد بيرون – تقتصر على وصف أحداث المعركة والظروف التي نشبت فيها دون أي حث أو أي حض على المجابهة. وينعكس هذا الفارق على المفردات الموظفة في كلا القصيدتين. ففي القصيدة الحماسية الأولى ألفاظ ومفردات توحي بحث الهمم على القتال مثل (هلموا، الدف النشط، خير أن نموت من أن نعيش جبناء، صفر الصور...الخ) وعلى العكس من ذلك فالمفردات في القصيدة الثانية – وهي للورد بيرون – تتعلق بوصف الظروف التي حدثت فيها المعركة ووصف الأحداث التي حصلت خلالها (علا ليلاً صوت عربدة، تجمعت عاصمة بلجيكا، بنسائها الجميلات وفرسانها... بات الجميع مسرورين.. والنية حتى الصباح، اسمع !دوى ذلك الصوت، أما النهار فأتى بعرض عصيب للمعركة...الخ)

وخلافا لكل الأشعار التي ناقشناها عن الحرب فالاشعار التي سنناقشها تالياً تتخذ موقفاً سلبياً من الحرب وذلك لأسباب متباينة كما سنلاحظ. فهذا الشاعر العربي (محمد بن أبي حمزة الكوفي) يقول متملصاً من الحرب:

باتــت تشــجعني هنــد فقلــت لهــا	إن الشــجاعة مقـرون بهـا العطـب
للحــرب قــوم أضـــل الله ســعيهم	إذا دعــتهم إلـــى أهوالهـــا وثبـــوا
فلســـت مـــنهم ولا أهــوى فعـــالهم	لا الجـد يعجبنـــي منهـا ولا اللعـب

(وليعقوب بن اسحق الخريمي)

لمـا رأيـت القنـا الخطـي مشـرعةً	والمشـرفية فـي الأيـدي مصـاليتا
طأطأت راسي فجَازُوْنِي ولـو وقفوا	طأطأتـه أبـداً أو يبلـغ الحوتـا
قـالا "تعيـر بعـد اليـوم "قلـت" ذرا	عـاري علـي وقومـا أنتمـا موتـا"

إن هذين الشاعرين (الكوفي والخريمي) لم يعمدا الى خوض غمار الحرب حفاظاً من كل منهما على روحه من القتل.لكن فيما يلي سوف نرى شعراء انجليز ينتقدون الحرب- بصورة عامة- بسبب أضرارها الكثيرة التي تعم الأمم من إبادة للناس وبأعداد كبيرة، وتدمير وتخريب للمنشآت وتعنيت الناس في التشريد واليتم والتثكيل...الخ فهذا الشاعر الانجليزي الثاني - بعد شكسبير – وهو (جون ملتون ١٦٠٨-١٦٧٤) في عمله الملحمي "الفردوس المردود – ١٦٧١" يتطرق الى الحروب في ابيات يقول فيها ما ترجمته:

إن الـذين يرتـأون حـربهم أو نصـرهم فخـراً وأنجـازاً ثمـين
أو أنهـم إن يخضـعوا قومـاً ضـعافاً وادعـين آمنـين
قـالوا " لنـا العـز المؤثـل، إننـا فـي الأرض هـذي وحـدنا لحـاكمون
إنـا أخـذنا بالقتـال عنـوة كـل القـرى، إنـا لـنحن الغـالبون"
مـاذا تـرى هـذي الفعـال حققـت إلا الشـرور والمآسـي والمنـون؟

ومقطوعة شعرية اخرى تنتقد الحرب ولكن من وجهة نظر جديدة فالشاعر الانجليزي (وليم بليك١٧٥٧-١٨٢٨) كتب مقطوعة شعرية تحت عنوان ترجمته "السيف والمنجل "يقول فيها ما ترجمته:

غنـى الحسـام فـوق أرض عاريـه	بينـا تغنـى منجـل أغانـيه
فـوق الحقـول الخضـر فـي ارجائهـا	خيـر الثمـار والقطـوف الدانيـه
للمـوت غنـى السـيف لكـن شـدوه	السـادي هـذا ذو اللحـون العاليـه
لـم يسـتطع إخضـاع منجـل بـه	للخصـب رمـز والعطايـا الوافيـه

إن الشاعر هنا يفضل المنجل على السيف فعلى حين لا يجيء السيف الا بالخراب والدمار فإن المنجل يجيء بكل خيرات الأرض للإنسان... وهذه مقارنة بين طرفي نقيض قل ان نعثر عليها في الشعر حيثما كان.

وتالياً فهذه مقطوعة شعرية بغرض جديد في موضوع الحرب يتمثل في

الحديث عن المرتزقة ويبدي الشاعر رأيه فيهم.ففي مقطوعته الشعرية المعنونة مترجماً "على قبور المرتزقة" يقول الشاعر الانجليزي (أ.ي هاوسمان ١٨٥٩-١٩٠٦) ما ترجمته:

لمــــا تهـــاوت السمــــــا	ومـا علـى الأرض انقضـى
تـــلا الرجــــال هـــؤلاء	لاكتســـــابٍ مــــن دعــــا
مــا ان تقاضــوا أجرهـــم	حتــــى اجتبــــاهم الفنــــا
قــــد ثبتــــت أكتـــــافهم	تلـك السـما، يـا للضنــى!
لمـــا اســـتمروا واقفيـــن	مــــا علــــى الأرض أقـــام
قـــد دافعــــوا دفـــــاعهم	عن بعض شأوٍ غيـر سـام
أمــر قـــلاه الله مفضــوحٍ	رذيـــــــل محـــــــض ذام
إذ قــد قضــوا مــن أجــل	بخــسٍ دون أطمـــاعٍ تـــذام

هذه مقطوعة شعرية قل أن نلقى مثيلاً لها في اي أشعار أخرى، فهي قيلت في المرتزقة الذين تعتبر جريرتهم اثنتين، فهم اولاً يقفون مع من قد يكون خاطئاً وظالماً في حرب، ثم أنهم – في حد ذاتهم، لم يحاربوا لغاية شريفة – حتى ولو اصطفوا إلى جانب محارب على حق – فهم لم يحاربوا من أجل هذا الحق بل من أجل أن يكسبوا أجوراً ...أحشفاً وسوء كيلة؟

الفصل الرابع عشر

أشعار مقارنة في الفخر

عرف الفخر كغرض شعري عند العرب وقيل فيه أشعار كثيرة سواء في المشرق أو المغرب. والفخر قد يكون بأن يفخر الشاعر بنفسه أو بقومه. ولدى شعراء العرب أشعار كثيرة في هذين النوعين من أشعار الفخر. لكن بخصوص الشعراء الأعاجم وخاصة الغربيين فالفخر ليس معروفاً لديهم كغرض شعري قائم بذاته رغم أن لهم فيه أشعاراً كثيرة وعلى كل حال فالفخر والافتخار بالنفس لا يتمثل بوضوح في اشعار الغربيين بعكس الإفتخار بالأمة وبالوطن فهي كثيرة عندهم كما هي كثيرة في الشعر العربي.

والآن لنتدارس بعض الأمثلة على كل ذلك لغرض المقارنة.هنالك الشاعر العربي(سحيم بن وثيل التميمي) يفتخر بنفسه ويقول:

أنـــا بـــن جـــلا وطـــلاع الثنايـــا	متـــى أضـــع العمامـــة تعرفـــوني
صـــليب العـــود مـــن ســـلفي نـــزار	كمثـــل البـــدر وضـــاح الجبيـــن
كـــذي لبـــد يصـــد الركـــب عنـــه	ولا تـــــؤتى فريســــــته لحـــــين
ومـــا ذا يـــدري الشـــعراء منـــي	إذا جـــــاوزت حـــــد الأربعيـــــن
أخـــو خمســـين مجتمـــع أشـــدي	ونجـــــدني معـــــاورة الشـــــؤون

ولي أنا – المؤلف – قصيدة في هذا المجال وعنوانها "نوم الناس" نظمتها في ٢٠٠٣/١١/١٤ ومنها:

نـوم النـاس وقمـت	قـد انـاخوا وسـروت
رغـم سـتين تولـت	سـاعدي لـيس يفـت
لـيس تثنينـي سـنون	لا ولا منهـا وهنـت
همـة قعسـاء عنـدي	ولـي الأفـلاك سمـت
لست أرضى بالدنايا	كـل لـؤم قـد أبيـت
غـايتي فـي العـيش نهـــــــــــج	مســـتقيم لا يشـــت

حبذا الأخلاق دربـاً	في مسيري قد تخذت
يخفـق القـوم إذا مـا	بـح للأخـلاق صـوت
أرفض الفحشاء طَرَّاً	ليس عنها لـي سكت
زينـــة الــدنيا فــلاح	وبحسن الخلق زنـت

يجمع هاتين المقطوعتين أنهما قيلتا في الفخر بالنفس، كذلك ذكر الشاعران أنهما وإن تقدما في السن فإنهما لم يضعفا، بل مازالت الهمة عند كليهما عالية. لكن القصيدة الثانية "نوم الناس" تناقش كذلك مسألة الأخلاق، وترى أن الأخلاق لا بد منها لمجتمع يريد أن يفلح. يؤيد هذه الفكرة قول أحمد شوقي

وإذا أصـــيب القــوم فـــي أخلاقهـــم   فــــأقم علــــيهم مأتمـــــاً وعـــــويلا

كذلك قول آخر:

وإنمــا الأمــم الأخــلاق مــا بقيــت   فــإن هــم ذهبــت أخلاقهــم ذهبــوا

وكما المحنا فالافتخار بالنفس لا يطرقه الشعراء الغربيون وخاصة الانجليز وإنما مرت من قبل مقطوعة " الشيخ الجلد " للشاعرة الإنجليزية (إملي برونتي) في فصل "الاستغاثة" من الباب الأول ويمكن النظر إليها على أنها تتضمن فخراً بالنفس.

لكن الشاعر الأسكتلندي (سيروالترسكوت ١٧٧١-١٨٣٢) فيفتخر ببيته وبربعه في مقطوعة شعرية له بعنوان معناه "التحدي"" يقول فيها ما ترجمته:

إن بيتي المتواضع...لجد مبجل...إن يأت إلى قاعاته...الملك جيمس...إلا أن رماة نتنغهام مجيدون...ورجال يوركشير أشداء...ورماحة نورثمبريان عتاة...وفي تلال ديربي... فإن الممرات... شديدة الإنحدار...وفي الأوس والتاين...المخاضات عميقة...ولسوف تمزق رايات عديدة...ولسوف يخر إلى الأرض...فرسان كثر... ولسوف تطلق... حُزَمٌ جمة من السهام...قبل أن يجتاز ملك أُسكتلندا...نهر ترنت.

وفي تحد مماثل ولنفس الملك (جيمس) وتحت عنوان ترجمته "هل سيموت تريلوني؟ "يقول (الشاعر ر.س هوكر؟) مترجماً:

سيف قاطع... ويد خشنة...قلب صادق ومنشرح...لسوف يفهم رجال الملك جيمس...ما يفعل فتيان كورنوول...فهل هم قرروا أين ومتى؟...وهل سيقضي تريلوني؟ هاهنا عشرون الفاً...من رجال كورنوول...ولسوف يعلمون ما السبب! ... لقد قال قائدهم الشجاع الجريء... وقد كان شخصاً مرحا: "لو كان برج لندن... بقبضة ميكائيل... لنحررن تريلوني...

ومنها: وحين نجيء إلى سور لندن– منظر جميل ليشاهد ... ويكم ياجبناء!... أقدموا! فها هنا رجال أطياب...مثلكم...إن تريلوني معتقل... وربما يموت...لكن هاهنا...عشرون ألف رجلاً جريئاً من كورنوول... ولسوف يعلمون لماذا؟

إن هاتين القصيدتين واللتين فيهما تحد للملك تعبران عن مدى واسع لحرية الفكر والتعبير عن الرأي في انجلترا منذ أوائل القرن التاسع عشر.وفيهما – كما ذكرنا – افتخار الشاعرين بأهليهما.وكذلك في المثال الثالث والأخير والذي هو مقطوعة شعرية للشاعر الانجليزي(جيمس الروي فلكر١٨٨٤-١٩١٥) فيقول معتزاً ببني جلدته في مقطوعته "الطريق الذهبي" ما ترجمته:

نحن الحجيج... يا سيدي... لسوف نقطع أبداً... مسافة أقصى...وقد يكون هذا... خلف ذلك الجبل الأزرق... المتشح بالثلج...خلف ذلك البحر الغاضب... خلف ذلك البحر اللامع... إن هنالك نبياً أبيض... على عرش... أو محروساً في كهف... ويفهم لماذا ولد الرجال...لكنه من المؤكد... أننا شجعان... فنطرق الدرب الذهبي... نحو سمرقند.

هكذا ينصب كل افتخار الشعراء الانجليز على قومهم وليس هنالك من شيء يذكر عن افتخار لشعراء منهم بأنفسهم.

وكما ألمحنا من قبل فقصائد الأفتخار بالقوم أو بالوطن أكثر من أن تحصى في الشعر العربي ابتداءاً من عصور الجاهلية حيث كان الافتخار والاعتزاز بالقبيلة،
- عصبية قبلية- ويعبر عن الفخر بالقبيلة خير تعبير بيت شعر للشاعر (دريد بن الصمة) الذي قتل مع المشركين يوم حنين ٦٣٠م يقول فيه – وهو بيت سائر على كل لسان:

وهل أنا إلا من غزية إن غوتْ غويت وإن ترشد غزية أرشد

لئن عبر بيت الشعر الأخير عن افتخار الشاعر العربي بقبيلته فإن بيت الشعر العربي التالي يعبر عن حب الشاعر لقومه العرب أجمعين وعن افتخاره بهم:

يا عريباً في الحمى قد خيموا أنتم الأحباب من دون الورى

أوقدت نيرانهم في مهجتي وجرى دمعي بعيني ما جرى

كما يعبر الشاعر الأردني حيدر محمود (شاعر معاصر ولد في مدينة حيفا) في قصيدته التالية عن الافتخار بالوطن:

يا بلادي مثلما يكبر فيك الشجر الطيب...نكبر

فازرعينـــا فــوق أهــدابك زيتونـــاً وزعتـــر
واحملينــا أمــلاً مثـل صـباح العيـد..أخضـــر
واكتبــي أســماءنا فــي دفتــر الحــب نشــامى
يعشـقون الـورد لكـن يعشـقون الأرض ...أكثـر
قـد رسـمناك علــى الـدفلى وقامـات السنابــل
غابــة للأعــين الســود وحقــلاً مــن جــدائل
وأقمنـــا لـــك فـــي بـــاب المواويـــل منـــازل
فـــاكتبي أســماءنا فــي دفتــر الحــب نشــامى
يعشـقون الــورد لكــن يعشــقون الأرض أكثـر
يــا بــلاد الشــيح والحنــاء والــدحنون دومـــي
خيمـــــة للظـــــل والطـــــل وداراً للكـــــروم
واكتبــي بالسـيف والفــأس علــى خـد النجــوم
أنَّ أبنـــاءكِ مَزْرُوعـــونَ فـــي الأرض نشـــامى
يعشـقون الــورد لكــن يعشــقون الأرض أكثـر

قصيدة رقيقة من بحر الرمل تختلف عن أبيات الشعر العربي التي سبقتها في كونها – كقصيدة متكاملة – لم تتقيد – في قوافيها – بروي واحد، بل تنوع هذا الروي "راءاً، ميماً، ولاما" ثم أنها كذلك لم تلتزم بعدد التفعيلات التي تضمنها بحر الرمل ففي البيت الأول خمس منها بينما احتوت الأبيات الأخرى أربع تفعيلات لون من ألوان التجديد المقبول في الشعر العربي العامودي التقليدي.

الفصل الخامس عشر

أشعار مقارنة في موضوع "العقل"

إنه لمن دواعي الإستغراب أن العقل الذي هو القوة المحركة للإنسان إذا أنه مصدر تفكيره الذي بدونه تتردى حياته وتتراجع القهقرى، هذا العقل الذي يتميز به الإنسان عن الحيوان، إنه لمستغرب أن لا يلقى هذا العقل الإهتمام الكافي من قبل الشعراء، فلم ينظموا فيه أشعاراً وهو الذي لولاه ما قال شاعر بيت شعر واحد. وما مر معنا في هذه الدراسة الشعرية المقارنة في مجال الشعر عن العقل كان لشاعرتين الأولى منهما عربية وهي "جمعة بنت الخس" ثم الشاعرة الانجليزية "ماريان مور" وقد ذكرتا وأشعارهما في فصل "العقل" من الباب الأول. ماعدا ذلك فهنالك أبيات متفرقة في مجال العقل محدودة في عددها تتخلل بعض قصائد لشعراء، ومثال ذلك بيتان للمتنبي يقول في أحدهما:

لـولا العقـول لكـان أدنـى ضيغـم	أدنــى إلــى شــرفٍ مــن الإنســان

وقوله في بيت من قصيدة أخرى:

ذو العقـل يشـقى فـي النعـيم بعقلـه	وأخـو الجهالـة فـي الشـقاوة يـنعم

ومن ناحية البديع يلاحظ أن هناك جناساً كاملاً في البيت الأول في كلمتى "أدنى" فالأولى تعنى "أحط" والثانية تعني "أقرب". وفي البيت الثاني حالات من الطباق "يشقى وينعم" "ذو العقل وأخو الجهالة" و"النعيم والشقاوة".

ومن ناحيتي فلي – أنا المؤلف – أكثر من قصيدة في مجال الشعر عن **"العقل"** ففي واحدة منها بعنوان **"العقل كاف"** نظمت في ٢٠٠٤/١٠/١٨، وهذا بعض منها:

لــو أعمــل الإنســان يومــاً عقلـــه	لــو كـــان وازى قـــدر فكـــر فعلـــه
مــا كــان يشــقى الـدهر هــذا مَـرَّةً	كــان اســتراح العــيش هــذا كلـــه
فالعقــل إن نعملـــه نـــدرك نستـــَنرْ	والمـــرء يفلـــح إن يجانـــب جهلـــه
لكـــن إهمــــال العقــــول قصــــة	نلقــى بهــا مــن كــل شــر وبلـــه
نشـــقى إذا نحـــن أضـــعنا فكرنـــا	مــا فــاز مــن ولــى الغبــاء فصـله
يــا أيهــا الإنســان أوغـل فــي الأسـى	مــا غــاب عنـك العقـل تنسـى فضـله
إن تعمــل الفكــر المرجــى يعتـــدل	فيــك المســير، تهــد، لــن تضلـــه
العقــــل كــــافٍ لارتقـــــاء فــــي	الحيـــــاة نـــــرق ...إن نجلـــــه

أما القصيدة الثانية فهي بعنوان **"الإنسان والحيوان""** نظمت في ٢٠٠٩/٣/٥ ومنها:

يـا أيهـا الإنسـان إشـمخ وارتـق	عن خانـة الـوحش الغشـوم الأخـرق
لا تهمـل العقـل ولا التفكيـرا	أعملـه حـالاً أوفـه تحريـرا
إن أنت أهملت النهى في ذي الحياة	إن كـان فكـر منـك زاهقـاً مـوات
تشـبه غبـاءاً أسـفه الوحـوش	بلبهـا المحجـم الكمـيش
لا تقـرنَنَّ فعلـه بفعلكـا	لا عقـل فيـه ذاك كـم يضلكـا!
إن كنـت لاتسـمو بإعمـال الفكـر	وحشـاً ظللـت غاشـماً وتسـتمر
تشـبهه فـي أفعالـه المسـتنكره	رفضـاً لهـا فانهـا محقـره
بالعقـل تسـمو أيهـا الانسـان	أعـززه قـدراً فهـو لايهـان
فـالفكر أس فـي فـلاح العالميـن	وتركـه شـؤم وإخفـاق مبـين

يلاحظ الفارق بين القصيدتين الأخيرتين رغم أنهما في موضوع واحد هو "العقل" فالأولى منهما نهجت نهج الشعر العربي التقليدي بقافية وروي واحد، بينما وظف في الثانية قواف وحروف روي متعددة بحيث جاء الصدر والعجز من كل بيت فيها بروي واحد وهذا نمط جديد في نظم الشعر العربي.

ونقطة مهمة أود أن أشير إليها هنا، ففي القصيدتين السالفتين للشاعرين الإنجليزي «ديفيد هلبروك- أنا والحيوانات» فصل (١) باب (٢)، والشاعر الأمريكي «والتروتمان» - الحيوانات – فصل (٢) باب (٢)، يذكر هذان الشاعران العديد من خصائص الحيوان ومن وجوه الشبه والفوارق بينه وبين الإنسان، لكنهما أغفلا تماماً مقارنة فارق رئيسي بين الإنسان والحيوان ألا وهو العقل والمقدرة على التفكير بعكس قصيدتي الأخيرة التي تحدثت فيها عن العقل كفارق رئيسي بين الإنسان والحيوان.

خاتمة

مقارنات شعرية عامة

من الطبيعي أن يكون هنا لك فوارق بين نظرة الشعراء – رجالاً ونساءاً في مختلف المواضيع الشعرية ومنها الحياة والموت. فقد يكون لكل واحد منهم ولكل واحدة منهن نظرة تميزه عن غيره. وعلى سبيل المثال فبينما يقر شعراء بالحياة الآخرة كما في قول كعب بن زهير بن ابي سلمى:

إلـى الله لا العـزى ولا الـلات وحـده   فتنجــو إذا كـــان النجـــاء وتســـلم

لــدى يــوم لا ينجــو ولــيس بمفلــت   مــن النــار إلا طــاهر القلــب مسـلم

وكذلك قول الشاعر الإنجليزي (أوليفر سنت جون غوغارثي) – مر ذكره – مخاطباً الموت في قصيدته " إلى الموت":

أيها الآخذ العاطي... انما أنت في – كل أدائك – تتركنا وقد غنمنا أكثر مما تصيبنا بالفناء. ويعني الشاعر بذلك انه بالموت يقترب الإنسان من الحياة الآخرة، لا يبدو ذلك لدى شعراء وشاعرات آخرين... فبشكل مغاير وفي اتجاه مخالف فإن الشاعرة (إملي دكنسون)- مر ذكرها – في مقطوعتها "رحيل" لا تتعجل الإيمان المطلق بالآخرة في قولها مترجماً:

وإنمـــا يبقـــى علينـــا أن نـــرى   إذا الخلـــود فـــي الزمـــان الآتـــي

يـــأتي لنـــا بحـــادث مجـــدداً   يكـــــون ثـــــالوث التحـــــولات

فالشاعرة اذاً سوف تنتظر لترى ما سوف يحدث.

ويتميز الشعراء الرجال عن الشاعرات بالكتابة في نقطتين آخريين تتعلقان بالحياة والموت.أما النقطة الأولى فهي الحث على اكتساب اللذة الآنية. إذأن الغد غير مضمون – أبيقورية – كما في قول الشاعر الفارسي عمر الخيام – مر ذكره – في رباعياته مترجمة:

غـــد بظهـــر الغيـــب واليـــوم لـــي   وكـــم يخيـــب الظـــن بالمقبـــل

وقوله:

لا تشـــغل البـــال بماضـــي الزمـــان   ولا بـــآتي ˝ يش قبـــل الأوان

واغـــنم مـــن الحاضـــر لذاتـــه   فلـيس فـــي ـ خ اللليــالي الأمـــان

وكذلك قول الشاعر السوداني المعاصر الهادي آدم الذي مر في الفصل الأول من الباب الثاني وكذلك قول الشاعرين "وليم شكسبير"و"لورانس هوب" اللذين مر قولهما في المكان المشار اليه آنفاً.

أما النقطة الثانية التي يتفرد بها الشعراء (دون الشاعرات) في حديثهم عن الموت فهي فكرة موت الموت كما ورد في قصيدة "وليم شكسبير"-الجسم

والروح – وقصيدة "جون ضن": - لا تفاخر أيها الموت – وقد مرت القصيدتان في المكان المشار آنفاً: كما يتفرد بهذة النقطة الأخيرة الشعراء الانجليز دون الشعراء العرب.

وفي مجال الغزل والحب فبينما رأينا الشاعرة باحثة البادية – مر ذكرها – في الفصل الثاني من الباب الأول تتمسك بالعفاف كما بدا في شعرها المذكور نجد أن الشاعرة الإغريقية (سافو)- قبل الميلاد – بلغت الذروة في شعرها المثلي الجنس وهي الشاعرة الأولى عالمياً في هذا. ولم يتفوق عليها في ذلك إلا الشاعر العربي أبو نواس كما أن أبا نواس أتى بما لم يأت – وربما لن يأتي – به شاعر شرقاً أو غرباً في شعر الخمر.

وقد مرت أشعارهما كل في موقعه من البحث.أما في الغزل ومنه الماجن - النسيب- فقد حاز قصب السبق فيه الشاعر العربي عمر بن أبي ربيعة – مر الحديث عنه في الفصل الرابع من الباب الثاني – فما هنالك من شاعرة أو شاعر شرقاً أو غرباً بلغ مبلغه في ذلك.

وأخيراً إذا أتينا للأشعار المقارنة في موضوع " الطفل" نجد بعض التباين بين ما ورد في هذا الموضوع في كل من الشعر العربي والشعر الأعجمي. ومن وجوه التباين هذه مدى التعبير الشعري عن حب الأطفال الأمر الذي يبدو أكثر وضوحاً عند شعراء العرب ويمثل ذلك خير تمثيل الشاعر العربي الحطان بن المعلي في أبياته التي ذكرت في حينه والتي منها:

وإنمـــا أولادنـــا بيننـــا أكبادنـــا تمشـــي علـــى الأرض

فلا أعتقد أن هناك شعراً غربياً أكثر تعبيراً من هذا عن حب الأطفال. غير أن العرب – خاصة في الماضي- يحبذون أن يكون المولود ولداً لا بنتاً وقد أوردنا بعض الأمثلة الشعرية على ذلك على حين لا نجد أي شعر انجليزي في تفضيل المولود الذكر على الأنثى ومن ناحية ثانية ومن الأمور التي تتعلق بالأطفال موضوع الأهازيج "والتهاليل" التي تقال للأطفال للتهدئة أو عند النوم، هذه "التهاليل" أكثر وروداً في شعر الشعراء والشاعرات الغربيين، وكذلك عرضنا أمثلة شعرية على ذلك في الفصل الثامن الباب الأول، وفي الفصل الحادي عشر من الباب الثاني.

ومع نهايات بحثنا هذا نكرر الإشارة إلى اهتمام الشعراء الغربيين بالبيئة داعين إلى الحفاظ عليها متميزين بذلك عن شعرائنا، ويدعم ذلك الأمثلة الشعرية التي أوردناها والتي يجري مجراها هذه القطعة الشعرية الإسبانية الجميلة والمعبرة بعنوان «السَّجين» وهذه ترجمة لها.

لقد كان إذاكَ شهرَأيار... شهرَ الأيامِ الدافئَةِ... موسِمَ نُموِّ القمحِ... وإزهارِ الحقُولِ...إذ تُغني القُبَّرة... فيرُدُّ العندليبُ... وإذ ينشَطُ المحبون... ويروحونَ في خِدمة الحُبِّ... إلاَّ أنا... إنَّ عَيشِي لنكَدٌ... فالغمُّ يغمرني في هذا السِّجنِ... حيثُ لا أشعرُ بالنَّهارِ إذا جَاءَ... ولا بالليلِ حينَ يأتي... إلاَّ عن طريق طائرٍ صغيرٍ... يُغنِّيني عند طلوعِ النهارِ... لكنَّ رجلاً قتلَ هذا الطائرَ بقوسٍ... جَزَاَ

اللهُ ذلك الرجلَ شرَّ جَزاء.

مقطوعة شعرية تنتقد الإساءة إلى البيئة وهي قريبة من المقطوعة الشعرية التي وردت في فصل الطبيعة والبيئة- الفصل الثاني من الباب الثاني والتي كان عنوانها «الجزاء».

ولقد بينا من قبل كيف دخل الأدب العربي تأثيرات أدبية غربية وبالتالي عرف الأدب العربي الرواية والقصص بأنواعها والشعر الحر وشعر التفعيلة والشعر القصصي والمسرحيات الشعرية.

أما بخصوص الشعر الحر وشعر التفعيلة فقد مارسهما العديد من الشعراء العرب. أما المسرحيات الشعرية والشعر القصصي فقليلون هم الشعراء الذين خاضوا غمارهما. ومن هؤلاء الشعراء القلة أمير الشعراء أحمد شوقي بمسرحياته الشعرية مثل: «مجنون ليلى» «مصرع كليوبترا» و «قمبيز»... الخ.

كما كتب شوقي الكثير من القصص الشعرية خاصة على لسان الحيوان – بعضها موجه للأطفال. ومن شعره القصصي قطعة بعنوان «سليمان والهدهد» تقول:

وَقَـــــفَ الهُدهُـــــد فـــــي بَـــــابِ سُـــــليْمانَ بِـــــذِ لَـــــهْ
قـــالْ يـــا مَـــوْلاي كَـــنْ لـــي عِيشَـــتي صَـــارَتْ مُمِلَـــهْ
مِـــتّ مـــن حبـــةِ بُـــرٍّ أحْـــدَثتْ فـــي الصَّـــدرِ غُلَـــهْ
لا ميـــاه النيـــل تَرويهـــا ولا أمْـــوَاهُ دِجْلـــهْ
وإذا دَامـــتْ قَلـــيلاً قَتَلتنـــي شَـــرَّ قِتْلـــهْ
فَأشَـــارَ السَّـــيِّد العَـــالي إلَـــى مَـــنْ كـــانَ حَوْلـــهْ
قَـــد جَنَـــى الهْدهـــدُ ذنْبـــاَ وَأتَـــى فـــي اللـــؤْمِ فَعْلـــهْ
مـــا أرى الحبَّـــة إلاَّ سُـــرِقتْ مِـــنْ بَيْـــتِ نَملـــهْ
هـــيَ نـــارُ الإثـــمِ فـــي الصـــدر وذي الشـــكوى تَعِلَّـــهْ
إنَّ للظـــالمِ صَـــدراَ يَشْـــتَكي مِـــنْ غيـــرِ عِلَّـــهْ

ولغرض المقارنة نثبت فيما يلي قصة شعرية للشاعر والروائي والمسرحي الايرلندي «أوليفرجولد سمث ١٧٢٨ – ١٧٧٤ وعنوانها «مرثاة كلب مسعور» وفيما يلي شيء عنها:

إيهِ يَا نَاسُ ألا يا طَيِّبونْ... أصغُوا إليَّ منْصِتِينْ... فقصتي لَيستْ تَطُولْ... كان هنا لكمْ رجُلْ... رأى بهِ كلُّ البَشرْ... رَمزاً مقدسَ الأثر... كان لدى قِديسِنا... كلبٌ ومثلُه كَثير... عاش التقيُّ في حُبورْ... مع الصديق ذي النباحُ... لكنَّما ما كادتِ الدنيا تَحول... عضَّ الكليبُ صاحبَه... والكل طبْعاً عَاتَبَهْ...

والكلُّ قدْ يَقُولْ... عمر التقِيّ لن يَطُولْ... لِعضَّةِ الكلبِ الخَذُولْ... لكنَّ ما تمَّ وَصارْ... غيرُ الذي قِيل وَدَارْ... ما ماتَ لِلُّعُجْبِ الرجلْ... بالعكس إنَّ الكلبَ ماتْ.

بطل القصة في المقطوعتين هو الحيوان. ولقد وظف الشاعران الحيوان في أشعارهما ليشيرا إلى أفعال غير مقبولة ومنبهين الناس كي يتجنبوها وهي في القصيدة الأولى «السرقة» وفي الثانية «الخيانة».

والإتيان بقصة يكون للهدهد فيها دور محوري قد يكون أكثر تشويقاً من تلك التي تنسب للكلب، وذلك أن الهدهد- الطائر الجميل اللون والشكل- قلما يذكر في الأعمال الأدبية – عربية وأجنبية- فيظل لذكره وقع طيب يبعث على الاهتمام والمتابعة. هذا بعكس الوضع للكلب.

وعلى حين نجد أشعاراً أعجمية- وخاصة غربية – كثيرة تهاجم الفساد، وذلك منذ قرون عدة، فإن أشعاراً عربية مماثلة لم تلحُ على مسرح الأحداث إلا قريباً منذ عقود – فقط- من السنوات.

وكأن هَبَّةَ الشعب العربي الحالية مطالباً بالحرية والعدالة الاجتماعية جاءت تالية لانطلاق الأفكار التحررية التي يمثلها هذا اللون من الشعر. ونورد الأمثلة التالية للمقارنة.

فهذه قصيدة للشاعر العراقي أحمد مطر (ولد ١٩٥٤) في هذا الموضوع – الفساد:

ألملايينُ على الجوعِ تَنامْ... وعلى الخوف تنَامْ... وعلى الصَّمتِ تنامْ... والملايين التي تصرفُ من جيبِ النِّيامْ... تتهاوى فوقهمْ سَيْلَ بنادِقْ... وَمَشانِق... وقراراتِ اتِّهامْ... كلما نَادَ وْابتقطيع ذِراعَيْ كلِّ سارقْ... وبتوفير الطَّعامْ.. عِرضُنَا يُهتَكُ فوق الطُّرقات... وحماه الأرضِ أولادُ حَرامْ... نهضُوَا بعد السُّبَاتْ.

ولي أنا – المؤلف- مقطوعة شعرية في الفساد بعنوان «لصوص الليل» نظمت في ٩٧/٩/١٣م، وها هي:

فـــي اللّيــــلِ إذ يغشَـــى السَّـــوادْ كـــــل النــــــواحِي والــــــبلادْ

إذ يحجـــــبُ الرؤيـــا الــــدَّجَى فيســــــتوي خَــــــافٍ وَبَــــــادْ

يسْـــــــري اللّصـــــــوصُ يوسِـــــعون النــــــاسَ ضُــــرَّاَ وفَســــــادْ

يَمضُـــــــون ســـــــلْباَ وانتِهَابـــــــاَ واختِلاَســـــــاَ واضِّـــــطهادْ

لا يَرْعَــــــوُون يَنْهشـــــونَ اللّيــــــلَ أعــــــراضَ العِبَـــــادْ

تتشابه المقطوعتان الأخيرتان موضوعاً وشكلاً- إلى حد ما. فالإثنتان قيلتا في الفساد – موضوع حديث في الشعر العربي. والقطعتان تهاجمان الفساد بنوعيه المادي- سلب ونهب- والمعنوي وهو هنا هتك الأعراض. أما شكلاً فالقطعتان من مجزوء الرمل- جديد في الشعر العربي- لكن الأولى منهما لا تتقيد بعدد التفعيلان إذ تتراوح فيها ما بين تفعيلة واحدة في عبارة (... ومشانق)

إلى أربع تفعيلات في عبارة (...كلما ناد وابتقطيع ذراعي كل سارق). فالقصيدة هذه أقرب إلى شعر التفعيلة منها إلى الشعر العمودي. أما الثانية فتفاعيلها ثابتة عددياً، وبعكس الأولى فإنها تلتزم بقافية ذات روي واحد وهي بذلك تلحق بالشعر العربي التقليدي العمودي.

وأخيراً وفيما يتعلق بالأمور الدينية فعلى حين درسنا وناقشنا أشعاراً عربية وأعجمية داعمة للدين، وعلى حين رأينا أيضاً أشعاراً أعجمية تتطرق إلى الأمور الدينية بشيء من التهاون، الحيادية أو السلبية – راجع الفصل التاسع من الباب الثاني- فإن هناك شعراء عرب يوجهون نقدهم لا إلى الدين في حد ذاته – كما فعل بعض الشعراء الأعاجم- بل يتعرضون في نقدهم إلى نفر يتخذون من الدين غطاءاً لتحقيق مآرب شخصية لهم مادية وغير مادية وفي هؤلاء الناس قال أبو العلاء المعري في إحدى لزومياته.

ومــا أرى فــي النّــاسِ مــن ناسِــكٍ	إلاّ إلـــى نفْـــعٍ لـــه يجـــذِبُ
أصْـــدقُ مِـــن أصـــدقِهِمْ صَـــخرةٌ	لا تخـــدعُ النـــاسَ ولا تكـــذبُ

ومن الشعراء العرب الحديثين ممن انتقدوا أدعياء الدين – وهم قلة- الشاعر المصري أحمد محرم (١٨٧٧- ١٩٤٥) فمن مقطوعة شعرية له ما يلي:

أرى عُلمـــاءَ الـــدِّينِ لا يحفظونَـــهُ	ولا يعرفـونَ اليـومَ رُتبتَـهُ العُلْيـا
همُ اتخـذوا مـا أدركَـوا مـن عُلَومِـهِ	سَـبيلاً إلـى مـا يَشـتَهون مِـنَ الـدُنيا
إنَـــي علـــى مـــا أراكـمْ لاَ أحـذرُكمْ	مَعــرَّةَ اللّــصِّ والأنــذالِ والفَسَــقَهْ
لكـــنْ أحـــذرُكَمْ مَـــنْ ينبـــرِي لكَـــمُ	في معرِضِ الزهْدِ لكنْ همُّهُ السَّرِقَهْ

المراجع

١- بهجت، د.رائف "روائع الشعر الفرنسي: دراسات فيه خلال القرن التاسع عشر" دار شهدي ١٩٨٤.
٢- جمعة، حسين "مشهد الحيوان في القصيدة الجاهلية" دار رسلان. سورية ٢٠١١
٣- جرار.د. صلاح "قراءات في الشعر الاندلسي "دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة. عمان – العبدلي ٢٠٠٧.
٤- محمود حيدر "الاعمال الشعرية" المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ٢٠٠١ ط١.
٥- دار صادر "ديوان حسان" بيروت؟
٦- دسوقي، محمد" شاعرات عربيات "القاهرة ٢٠٠٩.
٧- رباعي، د. عبدالقادر آل "الطير في الشعر الجاهلي "المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت ١٩٩٨ ط ١.
٨- رجب، د. مصطفى "شرح ديوان بان الفارض " دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع. دمشق ٢٠٠٩.
٩- ركابي، جودت أل "الأدب الأندلسي"دار المعارف بمصر ١٩٦٦.
١٠- سعد، د.فاروق "غراميات عمر بن أبي ربيعة في اخباره وشعره" دار الآفاق الجديدة. بيروت ١٩٩٧ ط ١.
١١- سلوادي، د. حسن اسماعيل سلمان أل "أشعار الأطفال "مطبعة كنعان اربد. الأردن ٢٠٠٥ ط ١.
١٢- سلوادي، د. حسن اسماعيل سلمان أل "مختارات مترجمة من الشعر الانجليزي" مركز عبادي للدراسات والنشر. صنعاء اليمن ٢٠٠٦ ط١.
١٣- سلوادي، د. حسن اسماعيل سلمان أل "الشعر الانجليزي مترجماً إلى العربية"مركز الرحاب للطباعة والنشر صنعاء،اليمن ٢٠٠٧ ط ١.
١٤- سلوادي، د. حسن اسماعيل سلمان أل "على مذبح الحرية " شعر . دار جامعة ذمار للطباعة والنشر.ذمار .اليمن ٢٠٠٧.
١٥- سلوادي، د. حسن اسماعيل سلمان أل "أمل من طين " شعر شعر . دار جامعة ذمار للطباعة والنشر.ذمار .اليمن ٢٠٠٧.
١٦- سلوادي، د. حسن اسماعيل سلمان أل "الجديد في الترجمة: شعر انجليزي مترجم مخطوط.
١٧- سلوادي، د. حسن اسماعيل سلمان أل "الشعر العربي مترجماً إلى الانجليزية" جاهز للنشر.
١٨- سلوادي، د. حسن اسماعيل سلمان أل "أشعار مختارة من الحماسات" جاهز للنشر.
١٩- ٢٠٠٨. سلوم، سليمان خطار.مترجم "إلياذة هوميروس".
٢٠- شبلي، ايهاب "سارة وأرجوحة الفرح"ط١ ، ٢٠٠٩ عمان – وزارة الثقافة.

٢١- صادر، سليم ابراهيم" جواهر الأدب من خزائن العرب" دار الكتب العلمية.بيروت ٢٠٠٩.
٢٢- ضيف، شوقي "تاريخ الأدب العربي " العصر الإسلامي " دار المعارف .القاهرة ١٩٦٣
٢٣- طباع، د.عمر فاروق أل" ديوان أبي نواس" دار الأرقم للطباعة والنشر والدراسات، بيروت/لبنان ١٩٩٨.
٢٤- طباع، د.عمر فاروق أل " ديوان العباس بن الأحنف " شركة دار الأرقم بن الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ط ١ بيروت ١٩٩٧.
٢٥- عريف، ابراهيم "جولة في الشعر العربي المعاصر"دار العلم للملايين : بيروت ١٩٦٢ .
٢٦- عطوي، د.علي نجيب " ديوان إبي نواس : خمريات إبي نواس "دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٦ ط١.
٢٧- عقاد، عباس محمود أل "يوميات"نهضة مصر للطباعة والنشر .الجيزة.مصر ٢٠٠٩.
٢٨- قنيبي، د. حامد صادق "مطالعات عربية ومصطلحات في الأدب المقارن والنقد الحديث "دار ابن الجوزي . عمان – الاردن ١٤٢٨ / ٢٠٠٧.
٢٩- محسن، عيسى خليل"أمراء الشعر الاندلسي " ط١ / ١٤٢٨/٢٠٠٧، دار جرير للنشر والتوزيع عمان – الاردن .
٣٠- مكي، د.الطاهر احمد "الأدب المقارن ": أصوله تطوره مناهجه "دار العالم العربي – القاهرة ط ١ /٢٠١٠.
٣١- نوتي، أحمد موسى أل"الصحراء في الشعر الجاهلي "عالم الكتب الحديث الأردن، اربد

14- Merwin W.S."Some Spanish Ballads " London,New York ,Toronto Merwin W.S 1961.
15- New Encyclopedia Britanica, Thee. Vol. 7. Enc. Br. Inc. 1985.
16- Odyssus Elytis "Selected Poems؟"
17- Oxford Book of Twentieth Century English Verse,The Oxford University Press 1950.
18- Oxford University Press, The. Editor. London. Shakespeare: The Histories and Poems 1971.
19- Palgrave, Franccis T. "The Golden Treasury "Macmillan +Co Ltd.London1945.
20- Parker, E. W. Fresh fields. Longmans Green and company Ltd. 6 +7 Clifford Street. London Wl. 1957
21- Peacock .W.(Editor)"English Verse V. London University Press 1967.
22- Qusus, Jiryis "Selected Poems" Printed in the Economic Press. Amman 1-9-1962.
23- Sharbain, J"Poetry Books; Book three "Habosch – The commercial Press. Jerusalem –Jordan 1966.
24- Smith, A. J. M. seven Centuries of Verse. 2and Ed. New York. Charles Scribner's Sons. 1957.
25- ِStrang,Herbert.Treasure of English Verse "Oxford University Press.London,Geoffrey Cumberledge.1950.
26- Wavell,A.P."Other Men's Flowers; An Anthology of Poetry" Jonathan Cope – Thirty Bed ford Square,London 1945.
27- Weigall,Arthur"Sappho of Lesbos: Her Life and Times"Thorntom and Butter worth ,London 1932.

مراجع أجنبية
Foreign References

1- Auden"W.H. V Norman Holmes Pearson – Editors "Poets of the English Language"V.I,London – Eyre + Spottiswoods 1952.

2- Badger,George percy. D.C.L. English Arabic Lexicon Library Du Liban, 1967.

3- Benjamin, Edwin B. "The Province of Poetry "American Book Company New York 1966.

4- Bottrall,Margaret+Ronald "Collected English Verse"London 1946.

5- Clark, William George and Wright, William Aldis, The complete work of William shakspeare. Cambridge, 1911.

6- "Encyclopedia Americana" Grolier Inca. Limited. Danbury.

7- "Encylopedia Britanica" Robert P.Gwinn et.al. Chicago 15th Edition 1993.

8- Francis, Lincoln "A Garden of Greek Verse: Poems of Ancient Greece "London 2000 F.L.Limited.

9- Grove, Phillip pabcock. Ph. D. Editor in Chief and Merriam Webster. Webster`s Thrid New International Dictionary Unabridged.

10- Hayward, John. English Verse. Allen Lane. Penguin Book Led. Grosvenor Gardens, London. S W I W O B D, published in Allen Lane 1978.

11- Holmes, Richard. Shelley; The pursuit. Weidenfeld and Nicolson, London 1974.

12- Jess, Stein. The Random House Dictionary of the English Language. 1973. Random House Inc. 201 E. 50. the street.

13- Makarov, Alexander" Soviet Poetry: Russian Poets: 1917-67, Moscow 1967.